١

سلسلة قوارير

إعداد

أحمد عبد السلام — محمد عوض

محمد خيري — عبد الله عبد الرحمن

إشراف

محمد عيسى سلامة

صلاح حسون

تقديم

أحمد بن سليمان أيوب

الفهرس

التربية بالقرآن (سورة الفاتحة) ٧
مقدمات في العقيدة ٣٣
مقدمات في علم الفقه ٤٩
سيرة مريم عليها السلام ٦٣
خطوات في طريق السعادة ٧٩

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد

فإن عناية الإسلام بالمرأة بلغ منتهاه، كيف لا ! وأولُ قلب خفق بالإسلام قلبُ امرأة، وسورة في القرآن تسمى "النساء"، وأخرى بـ"مريم" عليها السلام، فصلاحها صلاح للأجيال، وانحرافها شرٌّ ووبال، وفي المقابل ترى أول سهام الأعداء للمسلمين هدم حصون العفة لنساء المؤمنين، وأعظم انهيار أخلاقي دب في الأمم أتى من فتنة النساء، ومنه استحكم البلاء وانتشر في الأرجاء، ولن يمل أعداء الملة من الدعوة إلى تحرير المرأة من عبودية الرحمن إلى عبودية الخلاعة والمجون، وترك أعمال الإيمان.

ولهذا؛ فلابد أن ينهض دعاة الحق لصد العدوان بتعليم النساء دينهن في المحافل والجوامع وكل مكان.

فها هو نبينا العدنان يخصص يومًا لوعظ النساء وبعث روح الإيمان.

وبين أيديكن أيتها المؤمنات هذه الرسالة الجامعة لأسمى الغايات تنوعت فيها المقالات وأربت على الوعظ بتعليم الأحكام والعقائد والإشارات، فخذوها بعين الجدّ؛ وإن كثرت العثرات، فنحن في زمن عز فيه الناصح وقلَّ فيه الصالح.

والله أسأل أن يجزي خيرًا من أعان على السداد

وصلى الله على محمد وآله وصحبه

كتبه

أحمد بن سليمان أيوب

تمهيد

الحمد لله الذي خلق فَسَوَّى، وقدَّر فهدَى، وخَلَق، الزوجين الذكر والأنثى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، والرسول المجتبى، وعلى آله وأصحابه أولي الأحلام والنُّهى، أما بعد:

فإن فلاح الناس في الدنيا والآخرة لا يكون إلا إذا عاشوا على مُراد الله وليس على مرادهم، ولا يُعلم مراد الله إلا بالفقه في الدين.

وطريق الفقه في الدين هو طلب العلم الشرعي، ولا يُتَصور أن طلب العلم الشرعي قاصر على الرجال دون النساء؛ إذ التكاليف الشرعية تشمل الجنسين إلا ما قام الدليل على اختصاص أحدهما به دون الآخر لِعِلَّة يقدرها الشارع الحكيم.

ولقد وعى نساء الصحابة هذا الأمر، فلما رَأَينَ أنهن لا يستطعْن مزاحمة الرجال في السماع من النبي ﷺ قُلْن له ﷺ: [غَلَبَنا عليك الرجال، فاجعلْ لنا يومًا من نفسك؛ فوعدهنَّ يومًا لقيهنَّ فيه، فوعظهنَّ وأمرهنَّ..] [رواه البخاري].

وإذا كانت نساء الصحابة قد أدركن مدَى حاجتهن للعلم الشرعي فإن نساءنا في حقيقة الأمر أشد حاجة، وأَولى بالحرص لاسيما في هذه العصور المتأخرة التي تعرضت فيه النساء لسهام الأعداء، ومحاولات التغريب حتى صار التمييز عسيرًا بين كثير من نساء المسلمين وبين غيرهن ليس في الزِّيِّ فقط، ولكن في الأخلاق والطباع والتصرفات.

وانطلاقًا من إيماننا بأنه لا فلاح للأمم والمجتمعات إذا أُهملت المرأة، وإسهامًا في أداء رسالة البلاغ عن النبي ﷺ، فإننا نتوجه بالخطاب من خلال هذه السلسلة إلى المرأة المسلمة تلك الملكة المتوجة، والدُّرة المصونة، واللؤلؤة المكنونة، والأمُّ المبجَّلة، والأخت الفاضلة والزوجة الوفية، والبنت الكريمة، إلى مربيات الأجيال وشقائق الرجال، فنقول: لم نجد أغلى من أن نقدم إليكُنَّ زينة القرآن، وحلية السنة، وعقود التوحيد، وقلائد الفقه، وأساور السير، وجواهر الأدب، ودرر الأخلاق، وأزهار الأخبار، إلى كل امرأة مسلمة، تطيع ربها، وتتأسى بنبيها ﷺ، نقدِّم لها هذه السلسلة المباركة **(سلسلة قوارير)**.

الرؤية والرسالة

إعداد امرأة مسلمة، مؤمنة بربها، مُتَّبعة لنبيها، معتزَّة بدينها، بصيرة بطريقها.

الأهداف

- الإسهام في بناء شخصية المرأة المسلمة بناء سليمًا ومتكاملاً.
- ربط النساء بالقرآن والسنة وصالح سلف الأمة.
- تأصيل العقيدة الإسلامية الصافية لدى النساء.
- تقريب العلم الشرعي، وتحفيز النساء على تعلُّمه وتعليمه.
- ربط الدنيا بالدين والعلم بالعمل، والمعتقد بالسلوك.
- تحصين النساء ضد الشبهات والدعاوى المنحرفة.
- تبصير المرأة بدورها الأسري والتربوي والدعوي والاجتماعي.
- تعزيز الصفات الإيجابية، ومعالجة الصفات السلبية لدى النساء.
- تنمية القدرات النسائية وتوجيهها لما ينفعها في دنياها وآخرها.

الفكرة وطريقة الإعداد

١ نراعي تحقيق جوانب التنوع والشمول مع الاختصار الذي يُحفِّز على القراءة والتعلم للقاعدة العريضة من النساء ، ويتم ذلك من خلال:

- فروع ثابتة مثل : التربية بالقرآن، وتقريب العقيدة، وتقريب الفقه، وأعلام النساء.
- بالإضافة إلى موضوعات متغيرة في النوازل والقضايا، والمهارات والأدوار، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالمرأة.

٢ لا نقتصر على الموضوعات التي تنفرد بها المرأة دون الرجال بل نطرح ما تحتاجه النساء على اختلاف أفهامهن وثقافتهن .

٣ نراعي في التناول سهولة العبارة وتسلسل الأفكار ، واختيار أظهر المسائل التي تهُم المرأة، وابتعدنا قدر الإمكان عن الخوض في التفاصيل الدقيقة والمسائل المشكلة.

ونسأل الله أن يجزي خيرًا كل من أسهم في هذا العمل لاسيما الشيخ : أحمد عبد السلام
ونسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

محمد عيسى سلامة

التربية بالقرآن

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

إنها فاتحة الكتاب... فاتحةُ كلِّ خير في الدنيا والآخرة ... إنها المفتاح الأعظم لكنوز الأرض، كما أنها المفتاح لكنوز الجنة :
هي أمُّ القرآن ، والسبع المثاني، والشفاء التام، والدواء النافع، والرقية التامة، ومفتاح الغنى والفلاح، وحافظة القوة، ودافعة الهمّ والغمّ والخوف والحزن لمن عرَف مقدارها وأعطاها حقها.... ومَن ساعده التوفيق، وأُعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة، وما اشتملت عليه .... أغنَتْه عن كثير من الأدوية والرُّقى، واستفتح بها مِن الخير أبوابَه، ودَفَع بها مِن الشرّ أسبابَه.(١)

سلي نفسكِ

- لماذا نكررُ الفاتحةَ كلَّ يوم في صلاة الفريضة فقط (١٧) مرة ؟
- لماذا جُعِلت الفاتحة ركنًا مِن أركان الصلاة ؟
- ولماذا افتتح الله بها كتابه ؟
- ولماذا كانت أعظم سور القرآن مع قِصَرها ؟

أسئلة كثيرة ومهمة نُحلّق من خلالها مع معاني هذه السورة المباركة

متى نزلت سورة الفاتحة ؟

الصحيح أنَّها أُنزلت بمكَّة ، لأنَّ (سورة الحِجْر) مكيَّةٌ بالاتفاق، وقد أنزل الله فيها: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر: ٨٧] وقد فسَّر النبيُّ ﷺ (السبع المثاني) بالفاتحة، فعلمنا بذلك أنَّ نزولها متقدمٌ على نزول (الحِجْر) .

وأيضًا فإنَّ الصَّلاةَ فُرضت بمكَّة، ولم يُنقل أنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابَه صلَّوا صلاةً بغير فاتحة الكتاب أصلاً، فدلَّ على أنَّ نزولها كان بمكَّة.(٢)

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣١٨)
(٢) راجع تفسير القرطبي (١/ ١١٥) وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب (ص: ١٨)

ترتيبها نزولاً نزلت بعد المدثر و قبل المسد، فهي خامس سور القرآن المكي نزولاً

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ:

أَوَّلُ ما أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: { اقْرَأْ } ثُمَّ { ن وَالْقَلَمِ } ثُمَّ { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ } ثُمَّ { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } ثُمَّ الْفَاتِحَةَ ثُمَّ { تَبَّتْ يَدَا }.(١)

أجْمعتِ الأمَّةُ علَى أنَّ فاتِحَةَ الكِتَابِ سَبْعُ اياتٍ، كما دلَّ عليه قولُه تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧]، وفسَّرها النبيُّ ﷺ بالفاتحة.

ما هي فضائل سورة الفاتحة ؟

لسورة الفاتحة فضائل كثيرة منها :

هي ركن الصلاة الأعظم

لا تصح الصلاة إلا بفاتحة الكتاب، لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ ».(٢)

لا مثيل لها في جميع الكتب المنزلة

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُورَةً مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الزَّبُورِ ، وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ ، وَلاَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَكَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا قُمْتَ تُصَلِّي ؟ فَقَرَأْتُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، قَالَ : هِيَ ، هِيَ ".(٣)

هي أعظم سور القرآن

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مع النبيّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فقَالَ لِي: « لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: « أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ »، قَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ ».(٤)

(١) فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٣)
(٢) رواه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤)
(٣) رواه مالك في الموطأ (٣٧) وأحمد (٥/ ١١٤) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦٠)
(٤) رواه البخاري (٤٤٧٤)

الفاتحة نورٌ خاص بالنبي ﷺ وأمته

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: « هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ».(١)

الفاتحة تفتح للعبد باب المناجاة مع ملك الملوك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}. قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}. قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ».(٢)

الفاتحة شفاء من كل داء

فهي شفاءٌ مِن الأمراضِ القلبيَّةِ، وشِفاءٌ من الأسقامِ البدَنيَّة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللَّهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ؛ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: « وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ ».(٣)

---

(١) فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٣)
(٢) رواه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤)
(٣) رواه البخاري (٤٤٧٤)

ما أسماء سورة الفاتحة ؟

تنوعت أسماء الفاتحة بحسب تنوع ما فيها من الدلالة، وما فيها من الفضل، وما اشتملت عليه مِن المقاصد، وما فيها من البركة والخير .

ومن أشهر أسماء سورة الفاتحة

- فاتحةُ الكتابِ .
- أم القرآن .
- أم الكتاب .
- السبع المثاني .
- الصلاة .
- الحمد .

ما السرّ في تعدد أسماء الفاتحة ؟

قال القرطبي : كلُّ ما عَظُمَ شأْنُه تعدَّدتْ صفاتُه وكَثُرتْ أسماؤُه.[1]

ما مقاصد ومحاور الفاتحة ؟

سورة الفاتحة تضمنت من المقاصد والمعاني والدلالات، ما لم تتضمنه سورة من سور القرآن الكريم، وقد تضمَّن القرآنُ الكريم علومَ الكتب السماوية وزاد عليها.

اشتملت سورة الفاتحة على جميع مقاصد القرآن ومن ذلك :

- الثناء على الله بجميع المحامد، وتنزيهه عن النقائص، وإثبات تفرده بالألوهية، وإثبات البعث والجزاء، في قوله تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة: ٢ - ٤]
- الأوامر والنواهي، في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}
- الوعد والوعيد في قوله {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}

(١) التذكرة (ص: ٥٤٤)

وهذا هو سرّ الفاتحة، فمعاني القرآن ثلاثة

١ – العقيدة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } .

٢ – العبادة: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } .

٣ – مناهج الحياة : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } .

وكل ما بعد الفاتحة من قرآن يشرح هذه المحاور الثلاثة .

ذكرت سورة الفاتحة حق الخالق والمخلوق

نصفها الأول : إثبات استحقاق العبادة لله وحده .

نصفها الثاني : ما يحقق للعبد حاجته وسعادته .

في سورة الفاتحة أركان العبادة القلبية

المحبة في { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

الرجاء في { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } .

الخوف في { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } .

في سورة الفاتحة بيان شرطي قبول العبادة

الإخلاص : في قوله تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }

المتابعة : لأن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان على الصراط المستقيم، وهو صراط الذي أنعم الله عليهم ، وأولهم الأنبياء.

التفسير المختصر للفاتحة

سورة الفاتحة هي السورة الأولى من حيث الترتيب في المصحف، التي جمع الله فيها كل مقاصد القرآن، وأجمل معانيه في تلك الآيات السبع، بالأسلوب المعجز، واللفظ الموجز،

١ - { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة: ١]

باسم الله أبدأ قراءة القرآن، مستعينًا به تعالى متبركًا بذكر اسمه.

وقد تَضمنت البسملة ثلاثة من أسماء الله الحسنى، وهي:

١ - " الله "؛ أي: المعبود بحق، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يُسمى به غيره سبحانه.

٢ - " الرَّحْمَن "؛ أي: ذو الرحمة الواسعة. فهو الرحمن بذاته.

٣ - " الرَّحِيم "؛ أي: ذو الرحمة الواصلة.

فهو يرحم برحمته من شاء من خلقه ومنهم المؤمنون من عباده.

٢ - { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة: ٢]

الثناء على الله بصفاته التي كلّها أوصاف كمال، وبنعَمِه الظاهرة والباطنة، الدِّينية والدُّنيوية، وفي ضمنه أَمْرٌ لعباده أن يَحمَدوه، فهو المستحق للحمد وحده، وهو سبحانه المنشئُ للخلْق، القائم بأمورهم، المُربي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.

٣ - { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة: ٣]

الرَّحْمَنِ ذو الرحمة الواسعة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، الرَّحِيمِ بالمؤمنين، الموصل للرحمةَ من يشاء من عباده؛ وهما اسمان من أسماء الله تعالى.

٤ - {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة: ٤]

الله وحده سبحانه مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال.

وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكيرٌ له باليوم الآخر، وحثٌّ له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات.

٥- { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥]

إنّا نخصك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة.

٦ - { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة: ٦]

دُلَّنا، وأرشدنا، ووفقنا إلى الطريق المستقيم، وثبِّتْنا عليه حتى نلقاك، وهو الإسلام، الذي هو الطريق الواضح الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته، الذي دلّ عليه خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه.

٧ - { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } [الفاتحة: ٧]

طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يهتدوا، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سُنَّتهم.

لطائف حول سورة الفاتحة

ما المناسبة بين آخر سورة الفاتحة وأول سورة البقرة ؟

آخر كلمات سورة الفاتحة الدعاء بالهداية {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} فجاءت بداية سورة البقرة تُبين أن الهداية في التمسك بالقرآن { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة: ٢]

لماذا قال{ الْحَمْدُ لِلَّهِ } ولم يقل (الشكر لله) أو (المدح لله) ؟

لأن الحمد يجمع أفضلَ صور الشكر، وأعمَّ صور المدح، وأرفعَ مقامات الثناء.

لم يقل (الشكر لله) لأن الشكر يكون فقط مقابل نعمة ، أما (الحمد) فيكون حتى ولو لم تكن هناك نعمة (فالحمد) أعلى وأرفع.

لم يقل (المدح لله) لأن المدح ثناء مجرد، أما (الحمد) فثناء معه محبة وإجلال وتعظيم، (فالحمد) أَلْيق بالله وأكمل وأعمق.

ما السرّ في مجيء قوله { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } بعد قوله { رَبِّ العَالَمِينَ } ؟

في مجيء { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } بعد { رَبِّ العَالَمِينَ } بيان لشمول الرحمة وسعتها.

كأن سائلاً يسأل: "ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخْذ وانتقام؛ أو ربوبية رحمة، وإنعام؟ فقال تعالى: { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }.

لماذا قال {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ولم يقل (مالك الدين) ؟

لنعرف أن للدين يوما يمتاز عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يَلقى فيه كلُّ عامل عمله ويُوفى جزاءه.(١)

لماذا كان الدعاء بالهداية في أعظم سورة (الفاتحة) وفي أعظم مقام في الصلاة ؟

قال ابن تيمية : لأن كل عبد مضطر دائما إلى الهداية إلى الصراط المستقيم ، ولا نجاة من العذاب إلا بهذه الهداية ولا وصول إلى السعادة إلا به فمن فاته هذا الهدى: فهو إما من المغضوب عليهم أو من الضالين.(٢)

ما فائدة إضافة الصراط إلى السالكين له وهم الذين أنعم الله عليهم ؟

لتزول عن السالك للصراط في زمن الغربة وحشةُ تفرده عن أهل زمانه وبَني جنسه.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغترّ بكثرة الهالكين.(٣)

---

(١) تفسير المنار (١/ ٤٦)
(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٩٩)
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٦)

عوامل الثبات على الصراط المستقيم

١ الإقبال على القرآن

قال الله تعالى في بيان أثر القرآن في تثبيت أفئدة المؤمنين :{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل: ١٠٢]

قال ابن تيمية : مَنْ تَدبَّرَ القُرآنَ طالِبًا لِلهُدَى منهُ تبيَّن له طرِيقُ الحقِّ.(١)

٢ الجمع بين العلم الإيمان

قال الله تعالى : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧]

قال قتادة : أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.(٢)

٣ الإكثار من الأعمال الصالحة

قال تعالى : {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا } [النساء: ٦٦]

فالمثابرة على الطاعة والمداومة عليها ابتغاء وجه الله سبب عظيم للثبات على الدين.

وفي الحديث القدسي: « وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ».(٣)

٤ سؤالُ الله تعالى الهدايةَ و الاستقامة

ولهذا فإن أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة : {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}، فإن الله إذا هدى العبد هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٥ الحرص على ملازمة الصحبة الصالحة

كما أننا نسأل الله الهداية إلى { الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } فلابد أن نعرف صفاتهم ونبحث عنهم ونحرص على صحبتهم إذا أردنا الهداية والفلاح.

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٧)
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٢)
(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٤) الحسنة والسيئة (ص: ٨٣)

أهم المعاني الإيمانية للفاتحة

خلاصة الفاتحة : مدح وثناء وتمجيد + عبودية واستعانة = هداية وإنعام

١- { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }

" الله " أول اسم في أول آية من كتاب الله، لأنَّ حاجةَ العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه، أعظم من حاجتهم إليه في خلْقه لهم، ورزقه إياهم ، ومعافاة أبدانهم، وستر عوراتهم، وتأمين روعاتهم.

وبدأ باسمي (الرحمن الرحيم) لنعلم أن رحمته سبحانه سبقت غضبه ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: « سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي »(١).

٢ - { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

الفطر السوية دائما تلهج بـ (الْحَمْد لِلَّهِ) إلى أن يستقر بهم المآل في الجنة، ووقتئذ يكون { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس: ١٠]

لا يكون حامداً مَن جهل صفاتِ المحمود، ومَن لم يعترف بنعم الله عليه ويثني عليه بها.

استحضري حال تلاوتها أن الله سبحانه : ربَّى جميع العالمين بنعمهِ تربيةً عامة ، وربَّاكِ أنتِ تربيةً خاصة (تربية الروح والقلب بالقرآن) فالحمد لله .

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ } كلمة خفيفة جدًا على اللسان ، ولكنها « تَمْلأُ الْمِيزَانَ »(٢).

{ رَبِّ الْعَالَمِينَ } عالَمَ الإنس والجن والطير والحيوانات والنباتات ، وكل عالَمَ نعرفه، وكل عالَمَ لم نكتشفه بعد، فالله وحده هو خالقه ومالكه ومصرفه وقائم على حفظه ومصالحه.

{ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الذي ربَّاكِ وسبق إحسانُه إليكِ بلا مقابل، فلا تنتظري منه إلا خيرًا .

{ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يعيش الطفل آمناً إن كان عنده أبٌ! فما ظنكم بمن كان له رَبٌّ رحيمٌ.. آمن به، وتوكل عليه ، وعلَّق قلبه به { أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام: ٨٢]

{ رَبِّ الْعَالَمِينَ } تهدم كلَّ نظريات الإلحاد المعاصر التي (ألَّهَتْ) كلَّ شيء إلا (ربّ العالَمين)

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

٣ - { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }

لو تأملتَ العالَمَ بعين البصيرة لرأيتَه ممتلئا برحمة الله تعالى كامتلاءِ البحر بمائِه والجوِّ بهوائه.(١)

الرحمةُ الحقيقية هي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، وإن كرهتْها نفسُه.

{ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } لو لم يعلم الناس عن ربهم إلا هذين الاسمين لكان هذا كافيًا بأن يُبدد كل أحزانهم ومتاعبهم.

لو سألتِ ما سعة رحمةِ { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ؟

الجواب : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } [الأعراف: ١٥٦]

{ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } أرأيتِ رحمةَ أُمِّكِ بِكِ ؟ واللهِ ؛ للهُ أرحمُ بكِ منها !

حتى الكافر فتح له باب التوبة ولم يُقنِّطْه من رحمته ما دام حيا ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ ».(٢)

المحروم حقا مَن حُرِمَ من رحمة { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } فاللهم لا تحرمنا من رحمتك

إياك واليأس من رحمة {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فـ{إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧]

إذا نزل بكِ البلاء فلا تقنطي مِن رحمة {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} لأنه يبتلي العبد ليُهذِّبَه لا ليُعذِّبَه.

كلما كنت أعرف بـ{ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } كنت أرضى بقضائه سبحانه وتعالى، لأن قضاء الله عز وجل دائر بين العدل والحكمة والرحمة.

٤ - {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}

تتجلى حقيقة الملك للخلْق يوم الدين، {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر: ١٦]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ ؟ ».(٣)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٣٧١)
(٢) رواه البخاري (٦٤٦٩) ومسلم (٢٧٥٥)
(٣) رواه البخاري (٧٣٨٢) ومسلم (٢٧٨٧)

تأملي فإن الآية تضمنت :

- إثبات المعاد.
- وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها.
- وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق.
- وكون حكمه بالعدل.[1]

المُلْك لله في الدنيا وفي الآخرة، والتأكيد هنا لتمام التفرد بالملك ، فلا منازع له.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} يضع فيه الموازين بالقسط، وينصر المظلوم ، ويعذّب الظالم، وهذا من تمام عَدله وسلطانه.

ما أجمل أن نُدرك أن { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } هو { الرحمن الرحيم }.

قال حمادُ بنِ سلمة : والله لو خُيِّرتُ بين محاسبةِ اللهِ إيّاي وبين محاسبةِ أَبويَّ لاخترتُ محاسبةَ اللهِ على محاسبةِ أبوي، وذلك أنَّ اللهَ تعالى أرحمُ بي مِن أَبويّ.[2]

حين نقرأ { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قال الله : حمدني عبدي ، { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } أثنى عليَّ عبدي، { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } مجدني عبدي؛ أسمعتم أزكَى وأجمل مِن هذه المناجاة ؟

واللهِ لولا ما على القلوب مِن دُخانِ الشهوات والمعاصي ، لطارَتْ فرحًا وسرورًا بقول رَبِّها وفاطرها ومعبودها: « حمدني عبدي ، وأثنى علي عبدي ، ومجدني عبدي ».[3]

٥ - { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }

هنا ينتقل العبدُ مِن الحمد والثناء والتمجيد إلى خطاب الحضور، كأنه صلح الآن لأن يكون قريبا مِن ربه ، فخاطبه خطاب الحاضرين، فقال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.[4]

العهد الذي بينك وبين الله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فـ {أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠] حتى تنال « ولعبدي ما سأل »

استحضري كأنكِ واقفة أمام سيِّدِكِ تُؤدِّين القَسَم واليَمين { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

(١) مدارج السالكين (١/ ٣١)
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٦/ ٢٥١)
(٣) كتاب الصلاة لابن القيم (ص: ١٤٢)
(٤) فتح الباري لابن رجب (٧/ ١٠٣)

{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ } إعلان للتوحيد في مختلف أنواعه وتثبيت في النفس معنى لا إله إلا الله.

{ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } إعلانٌ بضعفك لله ، وافتقارك إليه ، وانكسارك بين يديه.

{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } : مَن أرادَ السعادةَ الأبدية، فلْيَلزمْ عتبَةَ العُبودية.[1]

ما لا يكونُ بالله لا يكون، وما لا يكون لله لا يَصلح ولا يَنفع ولا يَدوم.[2]

أخطر أمراض القلب : الكِبْرُ والرياء ؛ فدواءُ الرياء بـ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ودواء الكبر بـ { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }.[3]

٦ - { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }

إذا قلتِ { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } فانتظري ردّ ربّك «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».

عبدٌ أمامَه ثلاث طرق ولا يدري أيّها يَسلك ليصل إلى نجاته ؛ فما أحوجه إلى {اهْدِنَا}.

فأنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه: دعاء الفاتحة : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }.[4]

{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الهداية في القرآن نوعان: هداية عامة : وهي الدلالة إلى مصالح العبد في معاشه ومعاده، وهداية خاصة : وهي الإعانة والتوفيق للسير في طريق الخير والنجاة.

{ الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم } يتضمن ستة أمور :

١ - معرفة الحق. ٢ - قصده وإرادته. ٣ - العمل به.

٤ - الثبات عليه ٥ - الدعوة إليه. ٦ - الصبر على الأذى فيه.

{الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم} بدايته هنا، ونهايته في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم.

على قدْرِ ثبوت قدمك على هذا الصراط في الدنيا يكون ثبوت قدمك على الصراط يوم القيامة.

وعلى قدْر سيرك على هذا الصراط هنا في الدنيا يكون سيرك على ذاك الصراط.[5]

{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } كما أن صراط جهنم عليه كلاليب، فكذلك الشبهات والشهوات هي كلاليب الصراط المستقيم، ومَن سَلِمَ هنا فازَ هناك.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٢٩)
(٢) شرح حديث النزول لابن تيمية (ص: ١٤١)
(٣) مدارج السالكين (١/ ٧٨)
(٤) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٢٠)
(٥) مدارج السالكين (١/ ٣٣)

٧ - { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }

لاحظي قال الله { أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } فلولا إنعام الله عليهم ما اهتدوا إلى الصراط، ولولا فضل الله عليهم ما ثبتوا عليه، وبذلك تُمحى جذور الغرور والعجب من القلوب.

قال إمام المهتدين ﷺ «وَاللَّهِ لَوْلاَ اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا»[١].

{ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } استعطاف، فإن من عادة المساكين أن يتوسلوا بقولهم: أعطنا كما أعطيت فلانًا وفلانًا.

من علامة اهتدائك للصراط المستقيم مخالفة المغضوب عليهم والضالين ومن سار على نهجهم، ولذلك لما ذكر الله الصراط المستقيم ، ثم ذكر الذين أنعم عليهم، قال: { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ } فمن شابههم في لبسهم أو كلامهم أو حركاتهم أو سكناتهم لم يَهتدِ اهتداءً تامًا.

فإذا ختم القارئ في الصلاة قراءة الفاتحة، أجاب الله دعاءه فقال: « هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ». وحينئذ تُؤمِّنُ الملائكة على دعاء المصلي، فيُشرع للمصلي التأمين ليوافق الملائكة ، فمَن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدَّم مِن ذنبه[٢].

(١) رواه البخاري (٤١٠٤) من حديث البراء بن عازب ﷺ.
(٢) فتح الباري لابن رجب (٧/ ١٠٣)

مفاتيح النجاح في سورة الفاتحة

لقد ذكرت لنا سورة الفاتحةُ مفاتيحَ النجاح في أي مجال من مجالات الحياة ، مَن التزمها وصل إلى ما يريد في الدين أو الدنيا ، وهذه المفاتيح هي :

تحديد الهدف

لن يصل الإنسان إلى أي نجاح في حياته إذا لم يحدد هدفه بدقة وواقعية، فإذا خرجتِ مِن بيتك وأنتِ لا تعرفين إلى أين تذهبين ، فلن تَصِلي إلى شيء.

مثال لذلك في الفاتحة : اسألي نفسك :

- ماذا أريد ؟ يأتيك الجواب {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} .
- لماذا ؟ يأتيك الجواب : لتكوني { مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } .
- كيف أحقِّق ذلك ؟ الجواب بتحقيق { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } بالاستعانة بالله .
- متى يتحقَّق لي ذلك ؟ الجواب : إذا كنتِ جادة في { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } .
- مَن يُعينني على تحقيق ذلك ؟ بصحبة الصالحات { الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } .

عليك البداية وعلى الله التمام

ابدأي إذا أردتِ الوصول :

- « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا »[1].
- وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « يَا ابْنَ آدَمَ ، قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إِلَيْكَ ، وَامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إِلَيْكَ »[2].
- في الفاتحة قدَّم اللهُ تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} على {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وقدّم {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} على {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لنعلم أن الإعانة والهداية لا تكون إلا لمَن بذل الأسباب، وهكذا في كل أمر من أمور الحياة مَن أراد شيئا فليأخذ بأسبابه، وقلبه معلقٌ بالله تعالى ، لأن السماء لا تُمطر ذهبا ولا فضة ، والنجاح ليس ملكا لأحد وإنما النجاح ملكٌ لِمنْ يَدفعُ الثمن .

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٧٨) عن رجل من الصحابة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٠٠)

التركيز على الهدف

اجعلي عينك على الهدف دائما { الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} لأن مَن يُركِّز ببصره على الأفق البعيد هو فقط مَن سيهتدي إلى الطريق الصحيح .

(الاستمرار) مَن واصل وصل

جميع ما ورد في الفاتحة عن المؤمنين يدور حول معنيين :

- إما الاستقرار.
- وإما الاستمرار .

- {الْحَمْدُ لِلَّهِ} جملة اسمية تفيد الاستقرار.
- {نَعْبُدُ} و {نَسْتَعِينُ} جمل فعلية تفيد الاستمرار.

عندما تَصلين إلى معنى كلمة النجاح تجدين أنها ببساطة تعني الإصرار والمداومة والاستمرار. وفي الحديث « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ »[1].

الثبات حتى الممات

نسأل الله (١٧) مرة في الفرائض فقط ليثبت قلوبنا على الإيمان ويحفظنا من سبل أهل الكفران {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }

فاثبتي على عقيدتِكِ ... وتَمَسَّكِي بحجابِكِ ... واعتزي بحيائِك وعفافِك ... وإياكِ أن تهتزي أمام المغريات أو الصعوبات .

(١) رواه أحمد (٣/ ٤١٣) واللفظ له ، ومسلم (٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ.

مفاتيح الوصول إلى الله في الفاتحة

في سورة الفاتحة مفاتيح السير على الطريق للوصول إلى الله تعالى منها :

العلم قبل القول والعمل

سورة الفاتحة تعرفنا على الله وتوحيده أولاً، ثم تعرفنا كيف نعبده وندعوه.

وهذه قاعدة أصيلة في السير إلى الله ، قال تعالى :{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } [محمد: ١٩]

دوام الذلّ والافتقار والانكسار لله

وهو أقربُ وأوسعُ بابٍ يُوصل إلى الله ، ولا مُزاحمَ فيه ، فما هو إلا أن تَضعي قدميكِ على عتبته، فإذا به سبحانه قد أخذ بيديك وأدخلَكِ عليه.(١)

وهذا المعنى يتجلى بوضوح في اسم السورة « الفاتحة » وفي البسملة ، وفي « نعبد » و « نستعين » و « اهدنا » و « أنعمتَ عليهم »

الجمع بين المحبة والخوف والرجاء

- فـ { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } تُورثُ المحبة { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } تُورثُ الرجاء { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } تُورثُ الخوف ؛ فكانت النتيجة : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }.
- والقلبُ في سَيْرِه إلى اللهِ عز وجل بمنزلةِ الطائِر، فالمحبةُ رأْسُه، والخوفُ والرجاءُ جناحاه، فمتى سَلِمَ الرأسُ والجناحانِ فالطائرُ جيدُ الطيَران، ومتَى قُطِعَ الرأسُ ماتَ الطائرُ، ومتَى فَقَدَ الجناحان فهو عُرضةٌ لكلِّ صائِدٍ وكاسِر.(٢)

تقديم مراد الله على مرادك

قُدِّمَ مرادُ الله في { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } وتأَّخر مرادُكِ في { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } لنعلم أنَّ مَن قدَّم مرادَ الله على مراده أعطاه الله ما يريد ، بل فوق ما يريد ؛ قالت عائشة للنبي ﷺ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ.(٣)

لماذا ؟ لأن النبي ﷺ كان يقدّم مراد الله على مراده في كل أموره.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٢٩) بتصرف

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٣)

(٣) رواه البخاري (٥١١٣) أي : يحقق لك مرادك بلا تأخير

تحديد وجهة السير

إلى مَن وإلى أين نسير ؟ والجواب {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ} [الشورى: ٥٢، ٥٣]

حددي وجهتك ولا تُشتتي نفسَك وانطلقي ، كما فعل قاتل المائة « فَانْطَلَقَ »....

فحَرَّك اللهُ له الأرض ليكون أقرب إلى النجاة بشبرٍ .... إياك والتردد ...

أعلنيها كما أعلنها أَبوكِ إبراهيم : { إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ } [الصافات: ٩٩]

الثقة بالمنهج والطريق

فلا أَشكُّ لحظةً واحدةً في منهج الحق الذي أَتمسك به { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ولن أتراجع عن طريق الحق الذي أسلكه لثقتي به، {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: ١٦١]

المسارعة وعدم التباطؤ

فمَنْ لم تكن همتُه التقدُّم في كلّ لحظة فهو في تأخُّرٍ وهو لا يشعر، فإنه لا وقوف في السير إلى الله ، كما قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدثر: ٣٧] .

والذين أنعم الله عليهم وصفهم بأنهم {يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: ٦١]

- يقول شيخ الإسلام : لابد للسالك إلى الله من همةٍ تُسيِّرُه وتُرقِّيه، وعلْمٍ يُبصِّرُه ويَهديه.(١)
- يقول خالد بن معدان : إذا فُتح لأحدكم بابُ خيرٍ فليُسرع إليه، فإنه لا يَدري متى يُغلق عنه.(٢)

اختيار الرفيق على الطريق

- عليك بالرفقة الصالحة {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}،

قال تعالى لنبيه ﷺ : {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]

- واحذري من السير وحدك ، فالمؤمن بإخوانه ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ ».(٣)

أي البعيدة التي تسير وحدها.

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٤٣)
(٢) حلية الأولياء (٥/ ٢١١)
(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٤٦) والنسائي (٢/ ١٠٦) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٣٥)

مفاتيح التربية في الفاتحة

التربية الصحيحة الناجحة هي التي تَستقي منهجها وأصولها من كلام ربِّ العالمين، وسورة الفاتحة جمعت أصول منهج التربية ، ونذكر من ذلك :

نبدأ بما بدأ اللهُ به (العقيدة)

فالله تعالى بدأ كتابه بالعقيدة ، وأمر جميع رسله أن يبدأوا دعوتهم بالعقيدة ، فبناء النفس الإنسانية يكون بترسيخ العقيدة في الأعماق ، وهذه السورة منهج رباني في بناء النفس الإنسانية ، تعلمنا أن العقيدة الصحيحة أول درس وأدوم درس يُعطى للمتربي.

البداية بالسهل مع المتربي

فالفاتحة من أسهل سور القرآن لفظا ومعنى ، مع أنها جمعت كل مقاصده ومعانيه.

البداية في كل الأمور باسم الله وحمده

افتتاحُ السورة بالبسملة إرشادٌ لنا أن نفتَتِح كلَّ أفعالنا وأقوالِنا بها.

التدرج والترقي في التربية

بدأت السورة بأسلوب الغَيبة { الحمد لله } حتى وصلت إلى { إياك نعبد } انتقلت من أسلوب الغَيبة إلى أسلوب الشهود ، وكأنَّ المعلوم صار عِياناً، والمعقول صار مشاهدًا، والغَيبة صارت حضوراً.

التكرار ؛ فما تكرَّر تقرَّر

من أهم رسائل سورة الفاتحة التربوية ضرورة التكرار للأمور المهمة حتى يستوعبها ويتقبلها المتربي، فنحن نكرر الفاتحة في صلواتنا اليومية ما لا يقل عن (١٧) مرة.

التربية بالرحمة

- لذلك بدأت السورة بـ{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} والقاعدة التربوية تقول : « أَلِّفْ ثمَّ عرِّفْ ثمَّ كلِّفْ »
- وهذا هو المنهج النبوي ، قال ﷺ « إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ ».(١)
- وقال « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ».(٢)

(١) رواه ابن الأعرابي في معجمه (٢٤٥٢) والآجري في الشريعة (١٠٠٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٦١٥)
(٢) رواه مسلم(٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الجمع بين الترغيب والترهيب

الترهيب بعد الترغيب منهج قرآني ، لتستقيم النفوس على طريق الله : { نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } [الحجر: ٤٩، ٥٠]

وهكذا الفاتحة {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ترغيب ثم ترهيب .

التركيز على الغايات (الأهداف) لا يُنسينا الوسائل

فلن نصل إلى أعظم الغايات { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } إلا بأعظم الوسائل { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }.

الاعتناء بالقصة وما لها من آثار إيجابية

القرآن كثيرًا ما يسوق لنا قصص { الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } وصفاتهم وجهادهم، ومآل أتباعهم ، ومآل أعدائهم لنعتبر {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: ١١١]

إبراز القدوات للمتربين

من أهم أركان التربية إبراز قدوات ليقتدي بهم المتربي، وقرآننا مليء بالقدوات مِن {الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء: ٦٩] فلْنُبرزْها.

التحذير من قُطّاع الطريق

لم تأتِ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} في الفاتحة التي نكررها في يومنا مرات عديدة عبثًا، وإنما أتت لنحْذَر ونحذِّر مِن طريق هؤلاء و لا نتشبه بهم في قول ولا فعل.

سورة الفاتحة تخلية وتحلية
كيف نزكي أنفسنا بالفاتحة؟

الآية	تخلية	تحلية
بسم الله الرحمن الرحيم	من الاعتماد على النفس	بالاستعانة بالله في كل أمر
{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}	من الجحود والكفران	بالحمد والثناء والشكر
{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}	من القنوط واليأس	بالثقة واليقين برحمة الله تعالى
{ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}	من الغفلة والإعراض	باليقظة والاستعداد
{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}	من الشرك والكبر والعجب	بالإخلاص والتوحيد وتمام الافتقار
{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}	من التيه والضياع	بسؤال الهداية والتوفيق للعمل
{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}	من الجهل والعناد	بالعلم والاتباع
{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}	من الغضب والضلال	بالهدى والرشاد

كيف أتدبر الفاتحة ؟

حتى تحفزي نفسك وتحركي قلبك، قبل أن تقرأي الفاتحة

- لابد أن تتذكري النصوص التي تُبين فضل ومكانة سورة (الفاتحة).
- اطردي الشيطان بالاستعاذة بالله منه حتى لا يقطع عليك مناجاتك لربك.
- استحضري أنك ستُناجِين اللهَ تعالى بأحب الكلام إليه وأعظمه قدرا (الفاتحة).
- استشعري أن الله يُجيبكِ حين تقرأين كلّ آية من الفاتحة « حمدني عبدي... ».
- ركزي في كل كلمة تقرأنيها ، وتفكري في معانيها ، وأنكِ المخاطبة بها.

يقول علي بن الحسن بن علي : إنَّ مَنْ كانَ قبْلَكم رَأَوْا القرآنَ رسائِلَ مِنْ رَبِّهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار.[1]

- رتلي الآيات وحسِّنِي صوتكِ بالقراءة ، وقفي على رؤوس الآيات .
- كرري الآية ولا تجاوزيها حتى تجدي لها أثرا في قلبك .
- اعلمي يقينا أنكِ بقدر ما تُعطين الفاتحة قدرها من التركيز والاهتمام، بقدر ما يُفتح لك بها من أبواب النجاح والتوفيق في الدنيا والآخرة.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص: ٥٤)

كيف أطبق الفاتحة في حياتي ؟

- عليك أن تبدأي بـ «بسم الله » في كل قول وفعل في حياتك كما علمنا رسول الله ﷺ.
- إياك واليأس من رحمة الله مهما ضاقت الأمور، فربنا هو (الرحمن الرحيم) .
- احمدي الله تعالى حمدًا كثيرًا على نعمه وفضله وهدايته إياك إلى دين الحق .
- احمدي الله على كل حال ؛ في السراء والضراء .

وقدوتكِ في ذلك رسول الله ﷺ ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ » وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ ، قَالَ: « الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ »[1].

- حينما تقولين "الحمد لله" فقد مَلأتِ ميزان الرحمن ! هل تتصورين أجر هذه الكلمة ؟! فماذا تنتظرين ؟ قولي الحمد لله .
- كوني من الرحماء فإن الله رحيم يحب الرحماء .
- قال ابن القيم : مَن وافق الله في صفة من صفاته قادَتْه تلك الصفةُ إلى الله بزمامه، وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقربته من رحمته، وصيَّرته محبوبا، فإنه سبحانه رحيمٌ يحب الرحماء.[2]
- مَنْ عامل الخلْقَ بالرحمة عامله الله بالرحمة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أن النَّبِيَّ ﷺ قال : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ »[3].

قال ابن القيم : من عامل الخلْق بصفة عامله اللهُ تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة.[4]

- كيف تقلقين أو كيف تيأسين أو كيف تحزنين ؟ وأنتِ ترددين (الرحمن الرحيم).
- أحسني الاستعداد ليوم الدين بالأعمال الصالحة .
- جددي العهد بينك وبين الله دائما بـ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥] .

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٥٠)
(٢) الداء والدواء (ص: ٦٧)
(٣) رواه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦١)
(٤) الوابل الصيب (ص: ٣٥)

- حجابك عبادة ... عفافك عبادة ... طاعتك لزوجك في غير معصية عبادة صبرك على تربية أولادك عبادة.
- ابدأي الدعاء بالحمد والثناء على الله سبحانه فهذا من آداب الدعاء.
- ألحي في الدعاء دائماً وأظهري له ضعفكِ ،

قال أحد السلف : تَضاعف ما أمْكَنَكَ فإنَّ اللطفَ مع الضعف أكثر.(١)

- إذا شعرتِ يوما بعدم التوفيق فراجعي نيتك، فعلى قدر نية العبد يكون توفيق الله وإعانته له.(٢)
- استمدي العون من الله دائما «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».(٣)
- اسألي اللهَ الهداية « اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى ».(٤)
- ليكن دأبك في الدعاء : أعطني كما أعطيتهم واهدني كما هديتهم : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ».(٥)
- ابحثي عن الأسباب التي توصلك وتثبتك على الصراط المستقيم.
- احرصي على صحبة الصالحات والزميهم وخاصة في زمن الغربة.
- احذري التشبه باليهود والنصارى ومَن على شاكلتهم، فـ«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».(٦)
- إذا تعلمتِ شيئا من الدين فبادري إلى العمل به ولا تكوني كاليهود الذين علموا ولم يعملوا.
- ارقِ نفسك من أي مرضٍ بالفاتحة فإنها شفاء عاجل ناجع (بشرط اليقين).
- علِّمي الفاتحة لأبنائك وأبناء المسلمين.
- حتى تصح صلاتهم لأن الفاتحة ركن من أركان الصلاة.
- وفي تعليمها خير كثير وأجر جزيل ؛ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ ».(٧)

وأكثر السور تلاوته وأعظمها أجرًا الفاتحة.

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٣٣) (٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)
(٣) رواه أبو داود (١٥٢٢) من حديث معاذ ﷺ ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٩)
(٤) رواه مسلم (٢٧٢١) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(٥) رواه أبو داود (١٤٢٥) والترمذي (٤٦٤) من حديث الحسن بن علي ﷺ ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٩٨)
(٦) رواه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر ﷺ ، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٤٦)
(٧) رواه أبو سهل القطان في " حديثه عن شيوخه " (٤ / ٢٤٣) وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٢٣)

اجعلي الفاتحة منهجا في تربيتك لنفسك ولأبنائك، فقد ربَّى بها النبي ﷺ الصحابة في مكة وكذلك رباهم بها في المدينة ، فقد مرَّ مُنقِذُ بن حَيَّان على النبي ﷺ بالمدينة فقرأ عليه النبي ﷺ الفاتحة وسورة العلق فأسلم ورجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فجاءوا جميعا إلى النبي ﷺ ليعلنوا إسلامهم.

فكانت الفاتحة فاتحة خير عليه وعلى قومه.[1]

ارقِ أولادكِ بالفاتحة وكوني على يقين تام أنها شفاء من كل داء نفسي أو عضوي أو قلبي.

أبرز الأخطاء الشائعة في استعمال سورة الفاتحة

أولاً : قراءة الفاتحة على الأموات

لأن القرآن أنزله الله للأحياء ليعملوا به ، لا للأموات ، قال الله تعالى عن القرآن : {لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس: ٧٠] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».[2]

ثانياً: قراءة الفاتحة للنبي ﷺ أو للصالحين

وهذا ليس عليه دليل من القرآن أو السنة ، ولم يفعله الصحابة ، وإنما الذي وردَ في السنة أن نصلي على النبي ﷺ ، ونترضى ونترحم على الصحابة والصالحين.

ثالثاً: قراءة الفاتحة عند الخِطْبة أو عقد النكاح

وهذا ليس عليه دليل من القرآن والسنة ، وإنما هي من عادات الناس ، ولا سيما إذا اعتقدوا أن الخِطْبة أو عقد النكاح لا يتمان إلا بقراءتها .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ».[3] وفي لفظ لمسلم « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ».

---

(١) شرح مسلم للنووي (١/ ١٨١)
(٢) رواه مسلم (١٦٣١)
(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)

عقيدة المرأة المسلمة

مقدمات في العقيدة

تعريف العقيدة

لغة : من العَقْدِ؛ وهو الرَّبطُ ، والإحكامُ ، والشَدُّ بقوة ؛ ومنه اليقين والجزم .

اصطلاحا : هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقينًا ثابتًا لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك .

تعريف العقيدة الصحيحة

هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ .

قال الله تعالى في وصف المؤمنين الصادقين :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحجرات: ١٥]

مرادفات لفظ العقيدة

للعقيدة الإسلامية: أسماء أُخرى تُرادِفُها، وتدلُّ عليها، منها:

- التوحيد .
- السُّنَة .
- أُصُول الدِّين .
- الفقه الأكبر .
- الشريعة .
- الإيمان .

ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عُبَّاد الأصنام مُقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن محبة الله، والخضوع له، والذلّ له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال.(١)

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٩)

أهمية العقيدة الصحيحة

عقيدة الإنسان هي أغلى ما يملكه، وأعظم ما يعتز به، وبدونها فلا قيمة له ولا وزن له، قال الحسن البصري : دِينُكَ دِينُكَ ؛ فإنما هو لحمُكَ ودَمُكَ فإنْ يَسْلَمْ لكَ دينُكَ يَسْلَمْ لكَ جِسْمُكَ ودَمُكَ.(١) وهذه بعض الأمور التي نبين من خلالها أهمية العقيدة :

١ الغاية من الخلق

الغاية من إيجاد البشرية هي عبادة الله وحده وتحقيق توحيده، قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] ومعنى {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} : أي : إلا ليوحدوني.(٢)

٢ مفتاح دعوة الرسل

أول ما بدأ به النبي ﷺ دعوته هو غرس العقيدة والإيمان في القلوب ، وهو أول ما دعا إليه كل الأنبياء من قبله، قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]

٣ أوجب الواجبات وأهم المهمات

العقيدة هي ضرورة الضروريات ، وآكَدُ الواجبات ، قال تعالى : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: ١٩]

٤ أشرف العلوم وأعلاها قدرًا

العقيدة أشرف العلوم ؛ وشرف العلم بشرف المعلوم، لأن علم العقيدة يعتني بمعرفة الله بأسمائه وصفاته، ويعرِّف الإنسان بواجباته تجاه ربه، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة.(٣)

٥ الأساس في قبول الأعمال

فقبول الأعمال متوقف على توحيد الله وعدم الشرك به ، قال تعالى : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]

وبالعكس فإن الشرك سبب لحبوط الأعمال ، قال تعالى :{وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة: ٥]

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٢٩) (٢) تفسير البغوي (٧/ ٣٨١) (٣) شرح الطحاوية (ص: ١٧)

٦ العقيدة الصحيحة منبع الأعمال الصالحة

فلا إيمان بدون عمل صالح، ولا عمل صالح بدون إيمان، قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]

٧ سعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة على صحة العقيدة

قال الله تعالى : {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام: ١٢٢] فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان وجعل له نورا يمشي به في الناس.
وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.(١)

فوائد وثمرات العقيدة الصحيحة

للعقيدة الصحيحة الأثر البالغ في صلاح دنيا المسلم وآخرته ومن ذلك :

١ سبب لمحبة الله للعبد

ومن أحبّه الله حصلت له السعادة والفلاح، قال الله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦]

٢ الحصن الحصين الذي من دخله كان من الآمنين

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: ١٣]
فهي الباب الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين إليه من الواصلين.(٢)

٣ بها صلاح ديننا ودنيانا

قال ابن تيمية : أصلُ الصلاح التوحيدُ والإيمان، وأصلُ الفساد الشركُ والكفر.(٣)
قال تعالى : {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} [الأعراف: ١٧٠] قال ابن كثير : أي: اعتصموا به واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره.(٤)

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣)
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/ ١٠)
(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ٩٥)
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٩)

٤ حماية من الشبهات

العقيدة أعظم ما يعصم المسلم من الشبهات، فلابدَّ للمسلم أن يكون لديه علمٌ صحيح بالعقيدة، وفَهمٌ صحيح بها؛ حتى يَميز الخبيث من الطيِّب ، والباطل من الحق في زمان كثُرت فيه الشبهات وتشعبتْ فيه الأهواء.

٥ سبب للأمن والهداية

قال تعالى : {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢] أي لم يخلطوا إيمانهم بشركٍ. فمن حقق التوحيد وتبرأ من الشرك أمِنَ من المخاوفِ والعذاب والشقاء، وهُدِيَ إلى الصراط المستقيم.(١)

٦ سبب لفتح أبواب البركات والخيرات

على قدر صحة الاعتقاد وصلة العبد بربه عز وجل تفتح عليه أبواب الخيرات، وتُقطع عنه أسباب الشرور.(٢) قال تعالى : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]

٧ سبب العز والكرامة

فللعبد من العزة والكرامة بحسب ما معه من الإيمان. قال تعالى : {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فأعَزَّنا اللَّهُ بالْإِسْلامِ، فمَهْمَا نَطْلُبْ الْعِزَّ بغيرِ ما أعزَّنا اللَّهُ به أذلَّنا اللَّهُ.(٣)

٨ سبب للمعية الخاصة

للعبد مِن ولاية الله ومعيته الخاصة بقدر ما معه الإيمان.(٤)

قال تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١٩]

٩ العقيدة الصحيحة سبب للنصر والتأييد

فقد تكفل الله للرسل وأتباعهم من أهل الإيمان بالنصر والتمكين {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٦٣)
(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٥١)
(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠)
(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٢)

١٠ سبب للسعادة وانشراح الصدر والتخلص من الهموم وضيق الصدر

قال تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]

فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر.(١)

١١ سبب لحفظ العبد من المعاصي والذنوب

لأن الإيمان بالله تعالى يدفع المؤمن إلى استشعار رقابة ربه، فيتغلب بذلك على رغبات النفس ونزواتها، كما قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١]

١٢ سبب لمغفرة الذنوب

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: ٢٨]

وقال الله تعالى في الحديث القدسي : « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ».(٢)

١٣ العقيدة الصحيحة سبب لدخول الجنة

وردت الوعود الكثيرة من الله بدخول الجنة كلها مشروطة بشرطين : إيمان صحيح وعمل صالح ، قال تعالى : {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر: ٤٠]

فلا يدخل الجنة إلا أهل الإيمان وأصحاب الاعتقاد الصحيح ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال : « لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ».(٣)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢٣)

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٥٠)

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١)

آثار إهمال تعلم العقيدة

لإهمال تعلم العقيدة آثار وخِيمة تعودُ على الفرْدِ والمجتمع في الدنيا قبل الآخرة منها :

١ ظهور الشرك

فمتى ظهر الشرك فسدت أحوال العباد، وعمّ البلادَ الخرابُ والفساد {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} [الروم: ٤٢]

٢ حبوط الأعمال

فلا قيمة للأعمال بدون الاعتقاد الصحيح ، قال تعالى لنبيه ﷺ : {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]

وقال تعالى :{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣]

يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى، أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبار الذي يُرى في شعاع الشمس.(١)

٣ المعيشة الضنك

على قدر ما يُعرض الناس عن الإيمان على قدر ما يُصابون بالقلق النفسي والاضطراب، والحِرمان من طُمأنينة القلب، وسكون النفس؛ قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤].

٤ حِرمان الحياة الحقيقية

فلو ملك الإنسانُ أموال الدنيا وكنوزها، وفَقَدَ الإيمان، فعيشه نكد وأحزان، قال تعالى : {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ٥٥]

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: ٢٥)

٥ كثرة الانتحار تخلُّصًا من الحياة

بسبب الضلال والبُعد عن الله، تضيق الصدور فيفرُّ الإنسان إلى الانتحار، قال تعالى : {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٢٥]

٦ سبب لحفظ العبد من المعاصي والذنوب

إذا ذهب الإيمان بالله وبقضائه وقدره من القلوب ، حلَّت مكانه الأمراض القلبية مثل الحسد والحقد والضغينة، وصار القلب محلاً للشهوات، قال تعالى : {فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [المائدة: ١٤]

٧ شيوع الأوهام والخرافات بين الناس

بغياب العقيدة تنتشر الخرافات والأساطير والحكايات الباطلة، ويترتب على ذلك ظهور الدَّجل والشعوذة والخوف من العفاريت والذبح للجن وغير ذلك من البدع والشركيات التي منبعها وأصلها الجهل بالله وبدينه.

خصائص العقيدة الإسلامية

تميزت العقيدة الإسلامية بكثير من الميزات وخُصت بخصائص جليلة مما جعلها محل قبول عند أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة ، ومن تلك الخصائص:

العقيدة الإسلامية توقيفية

فهي عقيدة متوقفة في مصدرها على الكتاب وصحيح سنة النبي ﷺ وإجماع السلف الصالح.

ويلزم من كون العقيدة توقيفية

أ أن مصادر العقيدة الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع السلف الصالح فقط.

ب ليس لأحد أن يُحدث أمرًا من أمور الدين، زاعما أن هذا الأمر يجب التزامه أو اعتقاده؛ لأن الله عز وجل أكمل الدين، وختمت النبوة، يقول تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ ».(١) وفي رواية لمسلم : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ».

ج أن نلتزم بألفاظ العقيدة الواردة في الكتاب والسنة وما قاله السلف ، ونتجنب الألفاظ المحدثة التي أحدثها المبتدعة.

العقيدة الإسلامية غيبية

الغيب : ما غاب عن الحسِّ، فلا يُدرك بشيء من الحواس الخمس: السمع والبصر واللمس والشم والذوق.

المراد من كون العقيدة الإسلامية غيبية

أنها تبحث في قضايا غيبية لا مجال للعقل في الإحاطة بها ، ومبناها على التسليم والتصديق المطلق بما جاء عن الله عز وجل ، وعن رسوله ﷺ، مثل الجنة والنار، والملائكة والجن، وغير ذلك كثير.

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)

لما كانت أغلب قضايا العقيدة غيب بالنسبة لنا، لَزِمَنَا كمؤمنين بالغيب

أ أن نسلّم لله عز وجل، ولرسوله ﷺ والتسليم لله ولرسوله يتمثل في التسليم بما في الكتاب والسنة.

ب أن لا نخوض ولا نجادل في العقيدة ونصوصها -لأنها غيب- إلا بقدر البيان، وإقامة الحجة، مع التزام منهج السلف في ذلك.

ج أن لا نصرف نصوص العقيدة عن ظاهرها بغير دليل شرعي ثابت.

العقيدة الإسلامية شمولية

فهي عامة، شاملة، صالحة لكل زمان ومكان، وحال، وأمة ؛ بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها.

فلم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتت بإيضاحها، ووضعت لها نظاما بأروع إحكام، وأتقن بيان؛ فقد أحاطت وهيمنت على الأعمال، والأقوال، والسلوك، وكل أمور الحياة.

من مظاهر شمول العقيدة

أ أنها تشمل علاقة العبد بربه، وعلاقة الإنسان بغيره من البشر .

ب أنها أعطت الإنسان تصورا كاملا عن الكون الذي يحيا فيه.

ج أنها تناولت كل القضايا التي بها تستقيم حياة الإنسان.

د أنها تشمل حال الإنسان في الحياة الدنيا، وفي الحياة البرزخية "القبر"، وفي الحياة الأخروية.

العقيدة الإسلامية وسطية

فهي لا تميل إلى الغلو، ولا إلى التفريط ، وإنما تقف الموقف الوسط في كل القضايا الإيمانية الكبرى ، وما سواها من القضايا العلمية أو العملية، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣]

المراد من كون العقيدة وسطية أنها

أ أفضل العقائد، وخيارها.

ب أعدل العقائد.

ج لا إفراط ولا تفريط فيها.

الوضوح والسهولة والسلامة من الاضطراب والتناقض

فهي عقيدة سهلة واضحة لا لبس فيها، ولا غموض، ولا تعقيد؛ فألفاظها واضحة، ومعانيها بيِّنة، يفهمها العالِم والعامّي، والصغير والكبير، لأنها مُستمدة من الكتاب الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت: ٤٢] ،

ومن كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى. فعقيدتنا لا اضطراب فيها ولا التباس ويُصدق بعضُها بعضاً {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]

العقيدة الإسلامية سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين

فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة ، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة.

كما أخبرنا بذلك الرسول ﷺ بقوله: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ».(١)

الثبات والاستقرار

فهي عقيدة ثابتة ، مستقرة ، فلقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام؛ محفوظة بحفظ الله تعالى، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التحريف، أو الزيادة، أو النقصان، أو التبديل، قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

(١) رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه

صلة العقيدة بالأخلاق

إن التحلِّي بحسنِ الخلق جزءٌ رئيس من الإيمان بالله تعالى لا ينفكُّ عنه، وكلَّما قوي إيمان العبدِ كانَ التزامه بالخلق الحسن أقوى.

قال ابن القيم : الدينُ كلُّه خُلُق ، فَمَنْ زادَ عليكَ في الخُلُق: زادَ عليكَ في الدِّين.(١)

لذلك قال ﷺ « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ».(٢) فالسلوك ثمرة لما يحمله الإنسان من معتقد، وما يدين به من دين، والانحراف في السلوك ناتج عن خلل في المعتقد.

وتتجلى علاقة العقيدة بالأخلاق من جهتين :

الأولى : الأخلاق الحميدة من ثمرات الإيمان

في آيات وأحاديث كثيرة ربط الشارع بين الإيمان وحسن الخلق ، ومن أمثلة ذلك:

الإيمان يستوجب الصدق : قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩]

الحياء شعبة من الإيمان ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».(٣)

الإيمان يستلزم الكرم والبذل والصلة : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».(٤)

اقتضاء الإيمان للحب في الله : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ».(٥)

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٤)

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٦٦)

(٣) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥)

(٤) رواه البخاري (٦١٣٨) ومسلم (٤٧)

(٥) رواه مسلم (٥٤)

الثانية : منافاة الأخلاق السيئة للإيمان الكامل

منافاة السخرية والاستهزاء للإيمان : قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١]

منافاة سوء الظن والتجسس والغيبة للإيمان : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: ١٢]

منافاة الكذب وإخلاف الوعد والخيانة للإيمان : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ».

منافاة إيذاء الجار للإيمان : عَنْ أَبِي شُرَيْح الخزاعي ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ».

وبمثل هذه النصوص نعلم أن التحلِّي بالأخلاق الكريمة من أهمِّ خصال الإيمان، وأنَّ مَن حسنت أخلاقه وطابت فعاله مع الناس كان أقربَ إلى الإيمان وأكثر تحقيقًا له ممَّن ساء خلقُه وشان طبعُه.

---

(١) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩)

(٢) لا يكمل إيمانه.

(٣) بوائقه : جمع بائقة وهي الظلم والشر والشيء المهلك.

(٤) رواه البخاري (٦٠١٦)

حكم تعلم العقيدة

إن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد، قال تعالى : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: ١٩]

وفي حديث ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى »[(١)].

قال ابن أبي العز الحنفي : اعلم أن التوحيد هو أول واجب يجب على المكلف، وآخر ما يخرج به من الدنيا ؛ فهو أول واجب وآخر واجب.[(٢)]

وعِلْمُ التوحيد منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، وهذا شأن العلوم الشرعية عامة.

لذلك فحكم الشارع في تعلم علم التوحيد أنه : فرض عين على كل مكلف، من ذكر وأنثى وذلك بالأدلة الإجمالية وأما بالأدلة التفصيلية ففرض على الكفاية.

فالعقيدة التي هي فرضُ عينٍ، هي تعلُّم ما لا يصح الإيمان إلا به؛ كالإيمان بأركان الإيمان الستة على وجه مُجمل.

والعقيدة التي هي فرضُ كفاية، هي معرفة هذه الأركان الستة على التفصيل بأدلَّتها من الكتاب والسُّنة، ومعرفة شُبَه المخالفين والرَّد عليها.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم (١٩)

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٢٧) باختصار

مصادر تلقي العقيدة

- القرآن الكريم
- السنة الصحيحة
- إجماع السلف الصالح

قال ابن تيمية : فدينُ المسلمين مبنيٌّ على اتباعِ كتابِ الله وسُنةِ نبيِّه وما اتفقتْ عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصولٌ معصومةٌ، وما تنازعت فيه الأمَّةُ ردُّوه إلى اللهِ والرسول.(١)

المصدر الأول: القرآن الكريم

فهو الأصل في تلقِّي العقيدة، واستنباط وتقرير الأحكام الشرعية، وإليه يُرَد كلّ نزاع، فما وافقَه كان حقًّا، وما خالفَه كان باطلاً، قال تعالى : {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤١، ٤٢]

فالقرآن هو الحُجَّة الدامغة، والمحجَّةُ الناصعة، في بيان الحقّ، في أمور الدّين والدنيا.

المصدر الثاني: السنَّة النبويَّة

- والسنة وَحي من الله تعالى ، كما قال تعالى عن نَبيِّه ﷺ : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } [النجم: ٣، ٤]

وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ».(٢)

- فيجب التصديق والانقياد والاتباع لما صح عن رسول الله ﷺ لقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧].

- ولا يَجوز ردّ السنة أو مُعارضتها، بقول أحدٍ كائنٍ مَن كان.

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ٢]

قال ابن القيم : فإذا كان رفعُ أصواتِهم فوق صوتِه سببًا لحبوط أعمالهم فكيف بتقديم آرائِهم وعقولِهم على ما جاء به ﷺ ؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم؟(٣)

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤)
(٢) رواه أحمد (٤/ ١٣٠) وأبو داود (٤٦٠٤) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٨)
(٣) إعلام الموقعين (١/ ٤١)

قاعدة منجية من الضلال: إذا أردنا فهْمَ الكتاب والسنة فهما صحيحا، فلابد من الرجوع إلى فهم السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم لأنهم أبرُّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقُها عِلْما ، وأقلها تكلفاً ، وأتبعها للكتاب والسنة.

المصدر الثالث: الإجماع

وهذا الإجماع مُستَنِدٌ على نصوص الوَحيين، لا مُستقلٌّ عنهما. والقول بحجية الإجماع مما يُميِّز أهل السنة عن غيرهم من أهل البِدع، كالرافضة والخوارج والمُعتزلة، فإنهم لا يحتجّون بالإجماع، ولا يَستندون إليه، بل يُنكرونه جُملةً.

والمراد بالإجماع : ما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم، من أصول الاعتقاد والإيمان، وتلقَّاه التَّابعون وأتباعُهم، وصار مُتقرِّرًا مُشتهِرًا، بين هذه القرون المُفضَّلة، ثمّ يَليه: ما أجمع عليه أهلُ السنَّة عبر كلّ عصر.

والإجماع حُجَّة عند أهل السنة، والدليل قوله تعالى : {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً} [النساء:١١٥] . فتوعَّد سبحانه كلَّ من خالَف سبيل المؤمنين - وهو ما كان عليه الصحابة ومَن تَبعهم - بالوعيد الشديد وقرن ذلك بمشاقّة الرسول، ولا يكون هذا إلا على ترك واجب، وفِعل مُحرَّم. وقد استدلَّ الشافعيُّ ، بهذه الآية على حُجيَّة الإجماع.

لماذا لا يكون العقل مصدرًا لتلقي العقيدة ؟

لأن أمور العقيدة أغلبها مبني على الغيب وهذا يحتاج إلى وحي لمعرفة تفاصيله، كالإيمان بأسماء الله وصفاته والملائكة وتفاصيل اليوم الآخر وغيرها.

لذلك قال الزهري: مِن اللهِ الرسالة، وعلى رسولِ الله ﷺ البلاغُ، وعلينا التسليم.[1]

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٥٤)

فقه المرأة المسلمة

مقدمات في علم الفقه

إن الفقه في الدين من أعظمِ المنن وأجلِّ المِنَح ، وأعلى الفضائل وأسمى المنازل ، لأنه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بكتاب الله وبسنة النبي ﷺ ولا شرفَ أفضل وأعظم من الفهم عن الله وعن رسوله ﷺ ،

قال ابن الجوزي : لمّا كان القرآن العزيز أشرف العلوم ، كان الفهم لمعانيه أرفع الفهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم.[1]

تعريف الفقه

الفِقه في اللغة : الفَهم والفِطْنة.أو فَهْمُ غَرضِ المتكلِّم مِن كلامِه.[2]

اصطلاحا : هو العلمُ بالأحكامِ الشَّرعيَّة العمليَّة المُكتسَبة من أدلَّتِها التَّفصيليَّة.

فالفقه -بناءً على هذا التعريف- ما اجتمع فيه أمران : المعرفة والدليل.

فمعرفة الحكم الشرعي وحدها لا تسمى فقهًا ، بل لابد من أن ينضم إليها الدليل الذي استقيت منه هذه المعرفة.

أو هو العلم بأحكام الحلال والحرام والواجب والمستحب والمباح والحرام والمكروه.[3]

مجالات الفقه

يشتمل الفقه على تنظيم جميع جوانب حياة المسلم العملية وهي:

العبادات : وهي الأحكام المتعلقة بعبادة الله تعالى من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وغيرها.

أحكام الأسرة : وهي الأحكام المتعلقة بالأسرة من زواج وطلاق ورضاع وحضانة ونسب ونفقات ومواريث وغيرها.

المعاملات : وهي الأحكام المتعلقة بأفعال الناس وتعاملهم بعضهم مع بعض في الأموال والحقوق وفصل منازعاتهم كالبيوع والشركات والمزارعة والرهن والكفالة وغير ذلك.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ١١)

(٢) التعريفات للجرجاني (ص: ١٦٨) والمعجم الوسيط (٢/ ٦٩٨)

(٣) التعريفات للجرجاني (ص: ١٦٨) وتعليم علم الأصول لنورالدين الخادمي (ص : ٢٨)

حكم تعلم الفقه

يختلف حكم تعلم الفقه باختلاف الأحوال، فقد يكون :

فرض عينٍ | فرض كفاية | نافلة ومستحبًا

١ **فيكون تعلُّمُ الفقه فرضَ عينٍ فيما أوجبه الله تعالى على كل مسلم مُكَلَّف؛** وذلك لأن العلمَ طريقُ العمل ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب

ومثال ذلك: ◄ أحكام الطهارة ◄ والصلاة ◄ والصوم

وغيرها مما يجب على كل مسلم بعينه،

ويدخل في ذلك : تعلُّم ما يتعلق ببعض الناس دون بعض في العبادات والمعاملات؛

- ◄ كأحكام الزكاة للأغنياء
- ◄ والحج لمن استطاع
- ◄ وأحكام البيع لمن يشتغل به
- ◄ وأحكام الزواج لمن أراد التزوج
- ◄ وأحكام الطلاق لمن أراد أن يطلِّق
- ◄ وأحكام العِدَّة لمن فارقها زوجُها

ويدخل فيما تعلمه فرض عين :

العلم بما يَحِلُّ وما يَحْرُمُ من المأكولات والمشروبات والملبوسات.

٢ **ويكون تعلُّم الفقه فرض كفاية فيما زاد على ما سبق من العلم،** بحيث يجب أن يوجد في الأُمَّة من يتخصص في علم الفقه، لتعلُّمه وتعليمه، وتحصيل ما لا بد منه لإقامة الدين ؛ وذلك عملاً بقول الله تعالى : {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢]

٣ **ويكون تعلُّم الفقه نافلة ومستحبًا على مَن أراد التبحُّر في دقائق عِلْم الفقه فيما فوق القدْر الذي يحصل به فرض الكفاية.**

أهمية الفقه وثمرته

للفقه منزلةٌ عظيمةٌ بين العلوم وذلك للأسباب الآتية:

١ أن الله أمر المؤمنين بتحصيله

قال تعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢]

قال السعدي: ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهمُّ الأمور.(١)

٢ امتَدح الله أنبياءه ورسلَه بالفقه في الدين

قال تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [ص: ٤٥]

قال ابن عباس: أولي القوة في العبادة، والفقه في الدين.(٢)

٣ أخبر النبي ﷺ أن مَن أراد اللهُ به خيرًا يفقهه في الدين

عن مُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفيانَ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ».(٣)

٤ ذمَّ الله المنافقين بأنهم ليسوا أهلَ فقه

قال عز وجل: {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون: ٧]

قال ابن القيم: فجعلَ الفقْهَ في الدِّينِ مُنافيًا للنفاق.(٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ، حُسْنُ سَمْتٍ، وَلَا فِقْهٌ فِي الدِّينِ ».(٥)

٥ دعا به النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ ».(٦)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٥٥)
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١١٤)
(٣) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧)
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٩)
(٥) رواه الترمذي (٢٦٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦١٤)
(٦) رواه أحمد (١/ ٢٦٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ١٧٣)

٦ التأسي بالنبي ﷺ في العبادات والمعاملات طريقُه الفقه

لن يستطيع المسلم أن يحقق الاتباع للنبي ﷺ أو أن يصحح عمله الذي يلقى به ربه إلا عن طريق الفقه ، قال الشافعي : آمنتُ بالله وبما جاءَ عن الله ، على مرادِ الله ، وآمنتُ برسولِ الله، وبما جاءَ عن رسولِ الله على مرادِ رسولَ الله.[١]

٧ بالفقه يميز المسلم بين الحلال والحرام

لا يستطيع المسلم أن يُميِّز بين الحلال والحرام إلا عن طريق الفقه ، وربما يقع البعض في الحرام وهو لا يشعر وربما كان كسْبُه حرامًا وهو لا يشعر وما ذلك إلا بسبب جهله بعلم الفقه.

٨ الفقهَ في الدين يُورِثُ الغيرة على الدين بعلم وبصيرة

لأن صاحبَه ينظر في العواقبِ والمآلات، ويدركُ - بنظر ثاقب - ما سَتؤُول إليه الأمور، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ ».[٢]

٩ الفقه في الدين وقاية من الزلل

في الحديث أن النبي ﷺ قال : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ».[٣]

قال الخطيب البغدادي : لا تصح العبادة إلا بعد التفقه.[٤]

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي (ص: ٧)

(٢) رواه أبو داود (٣٦٦٠) والترمذي (٢٦٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٤٥)

(٣) رواه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ١٠٦)

خصائص الفقه الإسلامي

تتجلى في الفقه الإسلامي مميزات وخصائص، ينفرد بها عما دونه من القوانين الوضعية، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

١ أحكام الفقه الإسلامي مصدرها الوحي

- الفقه الإسلامي لا يخضع في أحكامه للأهواء ولا الرغبات ، {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون: ٧١]
- الذي شرع الأحكام للإنسان هو الذي خلقه وهو أعلم بما يصلحه في دنياه وآخرته قال الله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

٢ الارتباط الوثيق بين الإيمان والأحكام

من خصائص الفقه الإسلامي أنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله تعالى وسائر أركان الإيمان ، ولاسيما الإيمان باليوم الآخر : {ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق: ٢]

وهذا الإيمان هو الذي يجعل المسلم متمسكاً بأحكام دينه مُطبِّقا لها طوعاً واختياراً، فالتزام أحكام الشرع إنما هو فرعٌ عن الإيمان بمَن أنزلها وشرعها لعباده.

٣ تحقيق العدالة بين الناس

فالأحكام الشرعية التي يُخاطب بها النبي ﷺ هي نفسها التي يُخاطب بها سائر المسلمين، إلا ما كان منها من خصائصه ﷺ ، وكذلك يستوي في عامة الأحكام الغني والفقير والحاكم والمحكوم إلا ما وردَ به الدليل لتخصيص شخص أو طائفة بحكم لوصفٍ فيه.

٤ شمول الفقه الإسلامي لكل ما يحتاج إليه الناس

شرع الله الأحكام لعباده رعاية لمصالحهم ودرءاً للمفاسد عنهم في جميع نواحي الحياة، ذلك أن الفقه الإسلامي جاء لتنظيم أمور ثلاثة وهي:

- علاقة الإنسان بربه
- وعلاقته بنفسه
- وعلاقته بغيره من الناس

وبتنظيم هذه العلاقات الثلاثة يكون الفقه قد نظَّم كل ما يتعلق بالإنسان في هذه الحياة وهذا ما يعبر عنه بالضرورات الخمس، وهي الحفاظ على النفس والدين والعقل والعرض والمال ، وبهذا تستقيم حياة الفرد والمجتمع.

٥ الثبات في القواعد والمرونة في التطبيق

فالحلال ما أحله والحرام ما حرمه الله سبحانه في أي زمان ومكان، ومع ذلك فلا يتصف الشرع بالجمود والتحجر، وإنما يراعي أحوال الناس ومعيشتهم في أحكامه إلا أن يكون فيه انتهاك لحرمات الله ومخالفة لصريح القرآن والسنّة.

٦ مراعاة الفقه الإسلامي اليسر ورفع الحرج

إن الإسلام راعي بتشريع الأحكام أحوال الناس وقدراتهم ، ولذلك جاءت الأحكام كلها في مقدور الإنسان، وفي حدود طاقته، وليس فيها حكم يعجز الإنسان عن أدائه والقيام به، وإذا ما نال المكلّف حرجٌ خارج عن حدود قدرته، فإن الدين يفتح أمامه باب الترخُّص والتخفيف. وليس أدلَّ على أن الإسلام دين يسر من قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]

ومن قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ »[١]

(١) رواه البخاري (٣٩)

ونكتفي بذكر المصادر الأصلية وهي:

المصدر الأول : الكتاب

القرآن هو المصدر والمرجع الأول لأحكام الفقه الإسلامي ، فإذا عرضت مسألة رجعنا قبل كلِّ شيء إلى كتاب الله عز وجل لنبحث عن حكمها فيه، فإن وجدنا فيه الحكم أخذنا به.

- مثلا : إذا سئلنا عن الحجاب وجدنا حكمه في قوله تعالى : {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١] وهكذا
- مع العلم أن القرآن نصَّ على العقائد تفصيلاً ، والعبادات والمعاملات إجمالاً، فجاءت السنة وفصَّلتْ ما أُجمل في القرآن وبيَّنتْهُ بيانا شافيًا.

المصدر الثاني : السنة

- المراد بالسنة ما صحَّ عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو ترك.
- والسنة هي المفسِّرة للقرآن والمبينة لما أُجمل فيه، قال تعالى : {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤]
- لذلك جاء في القرآن إحالة عامة على السنة النبوية ، بقوله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧] ومن ثَمَّ كانت السنة مِفتاح الكتاب.

المصدر الثالث : الإجماع

أ) الإجماع هو اتفاق الفقهاء المجتهدين في عصر على حكم شرعي معين.

ب) الإجماع حجة قوية في إثبات الأحكام الفقهية ومصدر يلي السنة في المرتبة.

ج) الإجماع في ذاته إذا انعقد على حكم لابد أن يكون مستندًا إلى دليل فيه، وإن لم ينقل الدليل معه.

المصدر الرابع : القياس

القياس هو : إلحاق حكم الأصل بالفرع لعلة جامعة بينهما

أو: إلحاق ما لم يَرِدْ فيه نصٌّ بما ورد فيه نَصٌّ في الحكم، لاشتراكهما في علة ذلك الحكم.

وهذا مثال لإيضاح المعنى ، قال تعالى في تحريم الخمر {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠] فالآية نصٌّ صريح في تحريم الخمر، فكيف نقيس عليها المخدرات مثلاً ؟

مثال

الأصل المقيس عليه	الفرع	العلة	الحكم
الخمر	المخدرات	الإسكار	التحريم

فالخمر محرمٌ بالنصّ ، والعلةُ في تحريمه (الإسكار) فألحقنا الفرع الذي هو (المخدرات) بالأصل الذي هو في الحكم (التحريم) لوجود العلة وهي (الإسكار).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ »[1].

القياس يأتي في المرتبة الرابعة بعد الكتاب والسنة والإجماع من حيث حجيته في إثبات الأحكام الفقهية.

(١) رواه مسلم (٢٠٠٣)

١ حسن النية

النية مفتاح كل خير ، وسبب التوفيق والتيسير والبركة في العلم ؛ قال حَبْر الأُمَّة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : إنما يحفظ الرجلُ على قدْرِ نِيَّتِه.(١)

فالنية هي ركن كل عمل صالح، الركن الأعظم والركن الأكبر الذي لا يقبل الله تعالى أي عمل إلا بها ، كما قال عز وجل: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]

٢ اجتناب الذنوب والمعاصي

فإنّ العِلْمَ نورٌ يقذفه الله في القلب ، والمعصيةُ تُطفئ ذلك النور.

ولمّا جلس الشافعي بين يدي مالك بن أنس وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من فطنته وذكائه، وكمال فهمه ؛ فقال: إني أرى اللهَ قد ألقَى على قلبك نورًا، فلا تُطفِئْه بظُلْمَةِ المعصية.

وقال الشافعي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأرشدَني إلى ترك المعاصي

وقال اعلَمْ بأنَّ العلمَ فضلٌ ... وفضلُ الله لا يؤتاه عاصِ(٢)

٣ العمل بالعلم

العمل بالعلم سببٌ لتوفيق الله تعالى إلى العلم والزيادة منه، كما قال تعالى : {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٢]

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : مَن عمل بعُشْرِ ما يَعلم علَّمه اللهُ ما يجهل.(٣)

٤ علو الهمة

أعظم الصفات التي ينبغي أن تتوفر فيمن يطلب العلم هي: علو الهمة والتنافس للوصول إلى القمة.

فجدِّدي نِيَّتكِ، وقوي عزيمَتكِ، واهجري الراحة لتحصلي على الراحة، واتركي الوسادة لتنالي السعادة.

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥٧)
(٢) الداء والدواء لابن القيم (١/ ١٣٢)
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٩٠)

قال الشافعي :

أخي لن تنال العلْمَ إلا بستةٍ ... سأنبئكَ عن تفصيلها ببيانِ

ذكاءٌ، وحرصٌ، واجتهادٌ، وبُلغةٌ ... وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ[1]

فالعلماء والعظماء لم يبلغوا القمم ويحافظوا عليها بمحض صُدْفة مفاجئة ، ولكنّهم كانوا يكدحون الليل ليَصِلُوا إلى العُلا بينما كان رفاقهم يَغُطّون في نومٍ عميق.

٥ المحافظة على الأوقات واستغلالها

قال تعالى : {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة: ١٤٨]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ »[2].

قال ابن بطال: الخير ينبغي أن يُبادَر به ؛ فإن الآفات تعرض، والموانع تمنع، والموت لا يُؤمَن، والتسويف غير محمود[3].

قال الأوزاعي: المؤمن يُقلُّ الكلام ويُكثر العمل، والمنافقُ يُكثر الكلام ويقلُّ العمل[4].

٦ الصحبة الصالحة

احرصي على صحبة الصالحات الناجحات، فمَن صاحب الناجحين نجح ومَن صاحب الفاشلين فشل ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »[5].

٧ كثرة الدعاء والإلحاح

قال الله تعالى لنبيه ﷺ :{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤]

قال القرطبي : فلو كان شيءٌ أشرفَ مِن العِلْم لأمرَ اللهُ تعالى نبيه ﷺ أنْ يَسألَه المزيدَ منه كما أمَرَه أنْ يَستزيدَه مِن العِلْم[6].

---

(١) ديوان الشافعي، ص (١١٦)

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١) والبيهقي في الشعب (١٢/ ٤٧٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٤٤)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٩٩)

(٤) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: ٢١٥)

(٥) رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٧)

(٦) تفسير القرطبي (٤/ ٤١)

معوقات تمنع المرأة من تعلم الفقه

المعوقات عن التعلم كثيرة خاصة في زماننا، نذكر بعضها للأخوات كي يحذرن منها :

١ فساد النية

فساد النية سبب الخذلان والفشل، قال تعالى {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} [الإسراء: ٢٢]

قال عبد الله بن المبارك : رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظِّمُه النِّية، ورُبَّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّرُه النِّية.(١)

٢ الكِبْر والعجب والخجل

بعض النساء يمنعهن الخجل أو الكبر من التعلم، قال تعالى في شأن المتكبرين : {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف: ١٤٦]

قال مُجاهِد : لا يتعلَّم العلم مستحْيٍ ولَا مُسْتكبِر.(٢)

فأهل الكبر يُحرمون من الانتفاع بالعلم بسبب فساد قلوبهم بهذا المرض الخطير .

وكذلك الخجل المذموم الذي يمنع المسلمة من التعلم ، قالت عائشةُ رضي الله عنها : نِعْمَ النِّساءُ نساءُ الأنْصارِ لَمْ يَمْنعْهُنَّ الحياءُ أنْ يَتفقَّهنَ فِي الدينِ.(٣)

وبعض النساء يمنعهن العُجب بنفسها مِن أن تتعلم أمر دينها، عَن أَنَس بن مالك رضي الله عنه أَن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: « ثَلاثُ مُهْلِكَاتٍ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ ».(٤)

٣ التحجج بكثرة الانشغال

إحداهن تقول مشغولة بالجامعة، والأخرى مشغولة بالعمل، مشغولة بالأولاد،.... نتحجج بكثرة الانشغالات ، وقلة الأوقات ، ولو رتَّب كلُّ واحد منا وقته لاستفاد الكثير ، قال النبي ﷺ « احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ ».(٥)

إذا كنتِ مشغولة بالفعل فاعملي بقاعدة (قليلٌ دائمٌ خيرٌ مِن كثير منقطع).

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٧١)
(٢) الإلماع للقاضي عياض (ص: ٥٣)
(٣) صحيح البخاري (١/ ٣٨)
(٤) رواه البزار (٧٢٩٣) والخرائطي في اعتلال القلوب (١/ ٤٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٤١٢)
(٥) رواه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤ التسويف والتأجيل

التسويف داء عضال ومرض قتَّال، إذ إن (سوف) جند من جنود إبليس، قال تعالى محذرًا من التسويف : {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} [الزمر: ٥٦]

فلا تُبْقِ فعلَ الصالحاتِ إلى غدٍ ... لعلَّ غداً يأتي وأنتَ فقيدُ

مَثَلُ المسوِّف : كرجل احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة، فقال: أؤخرها سَنَةً ثم أَعودُ إليها وهو لا يعلم أن الشجرة كلما بَقيتْ ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفُه.

٥ حبُّ الرياسة والتصدر

عن كَعْبِ بْنِ مَالِك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ ».(١)

قال الملا علي القاري : معناه ليس ذئبان جائعان أُرسلا في جماعة مِن الغنم بأشد إفسادا لتلك الغنم مِن حرص المرء على المال والجاه.(٢)

قال الفضيل بن عياض : ما أحبَّ أحدٌ الرياسةَ إلا أحبَّ ذِكْرَ الناسِ بالنقائِصِ والعيوبِ ليتميز هو بالكمال ، ويكره أن يَذكرَ الناسُ أحداً عنده بخير.(٣)

بعض النساء تأنف أن تجلس لتتعلم من غيرها لأن وضعها الاجتماعي لا يسمح لها بهذا ؛ فلذلك قال عمرُ بن الخطاب ﷺ : تَفقَّهوا قبل أنْ تُسَوَّدُوا.(٤)

قال ابن حجر : الرِّيّاسة مِن عادتها أن تمنع صاحبها مِن طلب العلم.(٥)

٦ التحجج بكِبَر السِّنّ

بعض النساء يقلن : فات الأوان ، وبعضهن يقلن : ....!

وهذا فهمٌ خاطئ لأن العمر كلُّه وقتٌ لطلب العلم: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩] ولأن يَلقى العبدُ ربَّه وهو يحاول أن يتعلم أمورَ دِينِه خيرٌ مِن أن يَلقاه وهو راضٍ بالجهل.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٥٦) والترمذي (٢٣٧٦) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٣١)
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٤٣)
(٣) روض الأخيار ، لابن الخطيب الحنفي(ص: ٢٤٣) بنحوه
(٤) صحيح البخاري (١/ ٢٥) معلقا
(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٦)

قال البخاري في صحيحه: تَعلَّمَ أصحابُ النبيِّ ﷺ في كِبَرِ سِنِّهم.

وقال رجلٌ لعبد الله بن المبارك بعدما صار إمامًا في العلم: إلى متى تطلب العلم ؟ فقال : لعلَّ الكلمةَ التي فيها نجاتي لم أسْمَعْها بَعْدُ.(١)

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : رأى رجلٌ مع أَبي مِحْبَرَة، فقال له: يا أَبا عبد الله، أَنت قد بلغتَ هذا المبلغ، وأَنت إِمامُ المسلمين. فقال: مع المِحبرة إلى المَقْبرة.(٢)

٧ اليأس واحتقار النفس

بعض النساء ينظرن لأنفسهن باحتقار وازدراء فيمنعهن ذلك من طلب العلم والتفقه في الدين ؛ وديننا الحنيف ينهانا عن النظر إلى النفس بدونية واحتقار،

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي ».(٣)

قال ابن حجر : فيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبةٍ ما ، ويَدفع الشرَّ عن نفسه مهما أمكن.(٤)

نموذج : هذه أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تُوفِيَ عنها النَّبِيُّ ﷺ وهي بنت ثماني عشرة سنة ، ومع ذلك كانت أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ.

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : ما أَشْكَلَ علينا أصحابَ محمدٍ ﷺ حديثٌ قطُّ فسأَلْنَا عائشةَ عنه إلا وجَدْنا عندها منْهُ عِلْما.(٥)

وقال عُرْوَة بن الزبير : ما رأيتُ أحدا أعْلمَ بفقْهٍ ولا بِطِبٍّ ولا بِشِعْرٍ مِن عائشة.(٦)

٨ فتور الهمة وضعف الإرادة والكسل

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ ».(٧)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تُصَغِّرَنَّ هِمَّتَكُم فإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عن المكْرُماتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ.(٨)

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٥)
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٠٩)
(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٣٧)
(٤) رواه البخاري (٦١٧٩) ومسلم (٢٢٥٠)
(٥) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٦٤)
(٦) راجع تهذيب الكمال للمزي (٣٥/ ٢٣٥)
(٧) رواه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (٢٧٠٦)
(٨) أدب الدنيا والدين (ص: ٣١٩)

سيرة مريم عليها السلام

يحدثنا القرآن الكريم عن قصة أفضل نساء العالمين مريم ابنة عمران .. إنها قصة لو تَفكرتْ فيها كلُّ امرأةٍ وفتاةٍ مسلمةٍ وعاشتْ معانيها لوجدتْ فيها خيرَ قُدوة لها.

قصةُ مريم ابنة عمران تَحملُ رسالةً لكلِّ مُسلمةٍ تحيا لله ومع الله، فحواها : إذا كنتِ لله على ما يُحبّ ويريد ، كان لكِ فوقَ ما تريدين وأعطاكِ فوق ما تتمنِّين.

قصةُ مريم تحملُ رسالةً لكل مسلمةٍ جعلت الحياءَ والطُّهر رداءها، أنبتها الله نباتًا حسنًا فكانت خيرَ قدوة لمَن يأتي بعدها مِن النساء، وبذلك يكون الفخر والشرف والرفعة.

اعتقادنا في مريم

هذه المرأة الصالحة أثنى الله تعالى عليها في القرآن الكريم، ومدحَها رسول الله ﷺ في سنته ؛ فلذلك أثنى عليها المسلمون، وأنزلوها المنزلة التي أنزلها الله تعالى إياها من غير إفراط ولا تفريط.

أما أهل الغواية، وضُلاَّل طريقِ الهداية فقد حادوا عن المنهج القويم فيها ؛ فاليهودُ المغضوب عليهم رَمَوْها بالفاحشة : {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} [النساء: ١٥٦]

والنصارى الضالون غَلَوا فيها حتى جعلوها في مرتبة الإلهية، فتوجه إليها بعضهم بالعبادة؛ لأنها والدة الإله عيسى في زعمهم : {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ} [المائدة: ١١٦]

فضائلها ومكانتها

سماها اللهُ في القرآن صِدِّيقة ومُصدِّقة ، فقال تعالى : {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} [المائدة: ٧٥]

وهذا أشرفُ مقام تصلُ إليه المرأة ، والصديقية: هي كمال العلم والعمل.(١)

وقال تعالى عنها : {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم: ١٢]

فشهد اللهُ لها بالصديقية وشهد لها بالتصديق لكلمات الله وشهد لها بالقنوت.(٢)

أمر اللهُ رسولَه ﷺ بذِكْر قصتَها للناس تشريفا لها، فقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ} [مريم: ١٦]

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٧٥)
(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٨٤)

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ».(١)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ».(٢)

أخبر النبي ﷺ أنها ممَّن جمعَ الكمال في العلم والعمل ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ : إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ».(٣)

هي من أفضل نساء أهل الجنة ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ».(٤)

نشأتها وأسرتها

كانت مريم بنت عمران عليها السلام من بني إسرائيل مِن أُسرةٍ صالحة معروفة بالتقوى، قد جعلها الله تعالى مِن أفضل أهل زمانها صلاحًا وتقوى، وكان من خبر أُمِّها العابدة التقية : أنها حينما كانت حاملاً بها : أنها نذَرَتْ إن وهبها الله مولودًا أن يكون خادمًا لبيت المقدس بعد أن يُولد ويكبر ، على عادتهم في ذلك الزمان.

ولكنها فوجِئَتْ عند وضعها أنها ليست ذكراً يصلح لخدمة بيت المقدس؛ إذ ليست الأنثى كالذكر في ذلك، فسمَّتها بعد ذلك بمريم، ودعتْ لها بالتحصين هي وذريتها من الشيطان الرجيم. قال تعالى: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٥ - ٣٦]

(١) رواه البخاري (٣٤٣٢) ومسلم (٢٤٣٠) (خير نسائها) أي نساء الدنيا في زمانها
(٢) رواه أحمد (٣/ ١٣٥) والترمذي (٣٨٧٨) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٤٥)
(٣) رواه البخاري (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١)
(٤) رواه أحمد (١/ ٣١٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٣)

ونستفيد من هذه الآيات :

- فضْل امرأة عمران ، وحرصها على شكر الله ، والتقرب إليه بما يحبُّ كالنذر.
- صلاح الأمهات سببٌ كبير في صلاح البنات ونشأتهن نشأة صالحة.

قال الشاعر:

وليس النَّبتُ يَنْبُتُ في جِنانٍ ... كمِثْلِ النَّبْتِ يَنبُتُ في الفَلاةِ

وهل يُرجَى لأطْفَالٍ كَمالٌ ... إذا ارْتَضَعُوا ثُدِيّ النَّاقِصاتِ

- وفي قوله تعالى : {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} أنَّ للذكر أعمالا تناسب فطرته، لا تصلح لها الأنثى، فإذا أقحمت المرأةُ نفسَها في أعمال لا تناسب فطرتها شَقِيتْ وتَعِبَتْ.

- وفيها دليل مشروعية التسمية يوم الولادة، وثبت ذلك في شرعنا،

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ »[1]

- ومن الفوائد : أهمية اختيار الأسماء التي تحمل معنى حسنا فلكل إنسان من اسمه نصيب فمعنى مريم في لغة بني إسرائيل (خادم الرب) أو العابدة ، فكانت كذلك كما ذكر اللهُ عنها : {وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم: ١٢].[2]

- وفيها استحباب الدعاء للمولود وذريته، وتعويذه من الشيطان الرجيم، {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦] .

- ظهرت إجابةُ اللهِ دعوةَ أم مريم، فعصم اللهُ مريم وابنها عيسى عليهما السلام من تسلط الشيطان عليهما، وأصلحها صلاحًا تامًا ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ،[3] فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ». ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦].[4]

قال النووي : هذه فضيلةٌ ظاهرة لعيسى وأُمِّه عليهما السلام.[5]

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٥)
(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٦٨) وفتح القدير للشوكاني (١/ ٣٨٤)
(٣) أي يطعنه بإصبعه في جنبه
(٤) رواه البخاري (٣٤١٣) ومسلم (٢٣٦٦)
(٥) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٢٠)

قال القرطبي : هذا الطعنُ مِن الشيطانِ هو ابتداءُ التسليطِ ، فحفِظَ اللهُ مريمَ وابنَها منْه ببركةِ دعوةِ أُمِّها.[1]

أهمية تعويذ الذرية بالدعاء والأذكار ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، يقول « أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ ».[2]

كفالة زكريا لمريم وظهور الكرامات

لما ظهر حسنُ نِيَّةِ أمِّ مريم ، وصِدْقِ تقربها لله تعالى بما نذرته استجاب الله دعاءها، وقَبِل نذرها، وأصلح ابنتها مريم، وجعلها في كفالة زوج خالتها نبي الله زكريا عليه السلام ، حينما خرجت القرعة له بعد أن اختصم صُلحاءُ بني إسرائيل كلٌّ يريد أن يكفلها ويربيها.

فقام زكريا عليه السلام بتربيتها تربية صالحة، ورعايتها رعاية تامة، وأسكنها في محراب عبادته، فكانت تأتيها كرامات من الله تعالى من الطعام في غير أوانه، فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فنشأت نشأة صالحة نقية. قال تعالى : {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٣٧] .

نستفيد من الآية :

الإنبات الحَسَن الذي تفضَّل الله به على مريم {وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} يقتضي كمالَ خَلْقها كأُنثى صالحة للحَمْل والولادة، وهذا بالنسبة للمرأة هو الثمرة الصالحة الطيبة.

{وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} بيان عظم شأن نعمة الله على الإنسان بتربيته التربية الصالحة، وعلى أيدي مُربين صالحين مخلصين، وأثر البيئة الصالحة في صلاح النساء والرجال.

نسبة الإنسان الصالح نِعمَ الله عليه إلى ربه وحده، لا إلى صلاحه وتقواه، أو استحقاقه ، {قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٣٧].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٧٠)
(٢) رواه البخاري (٣٣٧١)

البُشرى الطيبة والمعجزة الخالدة

لقد نشأت مريم وشبَّت وبلغت مبلغ النساء، فأراد الله تعالى أن يَخلق عبدَه ورسوله عيسى عليه السلام من غير أبٍ ؛ ليكون معجزةً دالة على قدرته، ويعظ بها بني إسرائيل الذين غرقوا في الماديات، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} [المؤمنون: ٥٠].

فلأمرٍ ما يعلمه الله تعالى خرجت مريمُ عليها السلام من محرابها، وتباعدت عن قومها، فاتخذت لها مكانًا للعبادة مما يلي الشرق عن قومها، فاستترت في ذلك المكان عن أعين الناس، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام ملكَ الوحيِ في صورة إنسان تامِّ الخَلْق، فلما جاءها في ذلك المكان الخالي - وهي الطاهرة النقية العفيفة - خافت وفزعت، فاستجارت بالله الرحمن ليرحمها من شرِّ إنسان لا تعرفه، وذكرَّته بالله وبتقواه ؛ ليعصمه ذلك من قربانها بسوء.

فطمأنها جبريلُ عليه السلام بأنه لن يُصيبَها بشَرٍّ، وبيَّن لها أنما هو رسول ملَكي مِن عند الله تعالى إليها ليبشرها بمجيء غلام منها يكون بكلمة من الله، ويصير له جاه وشأن في الدنيا والآخرة، وطهارة من الذنوب.

فتعجبت مريم من حصول ذلك منها من غير نكاح أو سفاح، فذكر لها الملَك أن الأمر كذلك من مجيء الولد في المنظور البشري، لكن عيسى له شأن آخر ينفرد به عن الناس بقدرة الله تعالى، حيث يُولَد من غير أب، وذلك على الله يسير.

وقد قدَّر الله وجودَ عيسى بذلك ليكون آية دالة على قدرة، ولا يمكن أن يتبدل هذا القضاء؛ لأنه قد سبق البتُّ فيه في اللوح المحفوظ.

قال تعالى : {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} [مريم: ١٦ - ٢١].

نستفيد من هذه الآيات :

- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ} الرفعة والمكانة ليست حكرًا على الرجال وحدهم .
- استحباب ذكر قصص القرآن بين الناس من أجل الاستفادة منها دينيًا ودنيويًا.

ما أعظم الصدق والإخلاص{انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} حتى لا يراها أحدٌ من البشر فخلَّد الله ذكرها.

{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} أَحْكِمي إغلاق النوافذ المطِلَّة على خَلْقِه، يَفتح الله لكِ باباً واسعاً مُطِلّاً على كرمه.

{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} تاريخُ المرأة يُصنع خلفَ الحجاب ؛ المرأةُ بلا حجاب كائنٌ في العَرَاء.

{فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} لما كان جبريل عليه السلام يجيء من السماء بالوحي وصفه الله بالروح ، لأنه بوحي السماء حياةُ الأرواح، فمَن كان أكثر امتثالاً لوحي السماء كانت رُوحه أكثر حياة وسعادة.

{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} ابتُلِيَتْ بشابٍ في أجمل صورة اختبارا لعفتها فلجأتْ إلى الرحمن.

دأبُ الصالحات عند حلول الشهوات : {أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ} ومثلُها في العفة المرأةُ التي قالت لمَنْ أرادَ أن يقع معها في الحرام « اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ».(١) وكذلك قال يوسف حين عُرضت عليه الفاحشة : {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ} [يوسف: ٢٣].

{أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ} عاذت باسم الرحمن : إذا رحِمَ اللهُ الفتاة رزقها العفافَ وصانَها عن سراق الفضيلة الذين لا يرحمون.

الجزاء من جنس العمل : حين انقطعت إلى الله تعالى ورغبت فيما عنده ورَجَتْ رضاه لم يخيب أملها ... وصلها حين وَصَلَتْه . وقَبِلَها حين قَصَدَتْه ، قال تعالى في الحديث القدسي : « وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ».(٢)

فضيلة عفة المرأة وحيائها وتقواها، وأن هذه الصفات تحرسها من معصية الله وسمعة السوء بين الناس.

لجوء المسلم عند مخاوفه إلى ربه وحده؛ فهو الذي بيده الأمر كله، ويدفع الشر كله، فمَن قَوِيَ لجوؤُه إلى الله أمِنَ، وقرُبَ فرجُه.

(١) رواه البخاري (٢٢١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومعنى (لا تفض الخاتم إلا بحقه) لا تُزل البكارة إلا بحلال وهو النكاح.
(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أهلُ التقوى حقًا هم الذين تحول تقواهم بينهم وبين معصية الله، فمَن أقدم على المعصية فمِن عدم تقواه أو مِن ضعفها.

قوة الإيمان تُعرَف عند الخلوة بالمعصية التي تشتهيها النفس، فمَن راقب الله انتصر إيمانُه على شهوتِه فلم يَقْرب من المعصية.

هكذا تكون العفة والطهارة « لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ » لم تسمح لمخلوق أجنبي عنها أن يمسها، وهكذا أهل الطُّهر، تقول عائشة رضي الله عنها : لاَ وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ.(١)

الحياة الدنيا قائمة على الأسباب، ولكن الأسباب قد تتخلف أمام قدرة الله إذ يجعل الله تعالى بعض الأشياء حاصلة من غير سبب معروف، وهذا يُربي في المسلم قوة اليقين بالله، وكثرة التفاؤل بفرجه ورحمته عند الشدائد.

{قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} رسالة إلى كل عقيم : أمرُك صعبٌ جدا على أطباء الدنيا ولكنه على ربِّ الأطباء هين ... فأذكري في دعائك أنَّ مطلوبك هينٌ عليه سبحانه.

قدرة الله ليس لها حدٌّ، فهو سبحانه على كل شيء قدير :
خلقَ اللهُ آدمَ من غير أبٍ وأمّ ، وخلق حواء مِن آدم فكانت مِن أب بغير أمّ ، وخلق اللهُ الذرية كلَّها من أبٍ وأمّ ، فما بقي إلا أن يخلق خلقاً رابعاً من أمٍّ بغير أب فكانت مريم هي الأم التي اختارها الله تعالى لهذه المعجزة : {وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٩١]

(١) رواه البخاري(٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦)، (يد امرأة) : أي من غير محارمه .

التسليم لقضاء الله وقدره

لقد سلَّمت مريمُ الصدِّيقة لقضاء الله وقدره، وهي تعلم ما ستلقى من سفهاء قومها من التُّهَم والطعون، غير أنها لما علمت أنه أمر الله تعالى اطمأنت ورضيت.

فنفخ جبريل في جيب درعها[1] حتى وصلت النفخةُ إلى رحمها فحصل الحمل بسبب ذلك، فخرجت إلى مكان بعيد؛ خوفا من تعيير قومها لها بالحمل مِن غير زوج.

فحملت بعيسى عليه السلام كما تحمل النساء وهي في ذلك المكان البعيد، واستمرت على حملها حتى حان وقت ولادتها فألجأتها آلام الطَّلْق إلى نخلة استندت عليها عند ولادتها في مكان مرتفع.

ولما كانت في تلك الحال أضحت تعاني أنواعًا من الكروب، ومنها :

- **كرب الولادة** ، ومنها : كرب الوحدة وقلة الخبرة وصعوبة الموقف .
- **الكربة الكبيرة** ، وهي ماذا ستقول لقومها إذا رجعت إليهم بوليد وهي ليست بذات زوج ؟ وقد عُرفت بينهم بالعفة والعبادة ، وهذا الكرب الأخير هو الذي تمنت بسببه الموت.

وبينما هي في صراع نفسي وجسدي شديدين إذ سمعت صوتَ وليدها تحتها يطمئنها، ويُسكِّن مِن روعها، وينتشلها من بين أحزانها ، ويَسكُب في أذنيها كلماتِ السرور والتطمين، والتفاؤل والرضا فيقول لها:

لا تستمري في الحزن؛ فإنه سيذهب، ولكن الْتَفتي الآن إلى ينفعُكِ وهو الطعام والشراب، فقد جعل الله تحتكِ – إكرامًا لك – جدولَ ماءٍ جاريًا، وفوقك رطبًا طريًا، فما عليك إلا أن تشربي من الماء، وتهزي جذع النخلة تساقط عليك تمراً غضاً جُنيَ مِن ساعته.

فكلي من الرطب واشربي من الماء، وطِيبي نفسًا، فإن جاءت ساعة العودة إلى القوم فأمسكي عن الكلام نذراً لله، وأحيلي التكلم إليَّ فأنا سأُجيب عنكِ.

---

(١) جيب الدرع : أي فتحة الثوب أعلى الصدر

قال تعالى: {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} [مريم: ٢٢ - ٢٦].

نستفيد من هذه الآيات :

- بيان فضل الأمِّ، وشدة ما تُعاني في حملها وولادتها وتربية ولدها، فيا ويل أهل العقوق إذا جاء يوم استيفاء الحقوق.
- الحرص على التستر : فهذه امرأة عفيفة تستتر خوفا من الفضيحة ، فما بالُ أهل المعاصي والجرائم لا يستترون ، والنبي ﷺ يعلمنا ويأمرنا بالتستر ، فيقول : « مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا. فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ »[(١)].

ووَبخَ لوطٌ عليه السلام قومَه الذين استحلوا اللواط وجهروا به، فقال منكرا عليهم : {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} [العنكبوت: ٢٩].

- وفيها أيضًا: جواز تمني الموت للخوف على الدين، أما النهي عن تمني الموت فهو في حق من تمناه لمرض أو فقر أو نحو ذلك من مصائب الدنيا.
- {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} قالتها خوفًا على دينها وليس خوفًا على الدنيا .
- {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} قالتها امرأةٌ صالحةٌ في لحظةِ ألَم ..لا تعاتبي على الكلمات في الأوقات الصعبة.
- وفيها كذلك : أن المنازل العالية عند الله لا تُنال إلا بعد مقاساة أنواع البلاء، وتحمل شدة المصائب.
- وفيها: أن الشدائد إذا تناهت واشتدت آذنت بقرب فَرَجٍ كبير.

(١) رواه الحاكم (٤/ ٢٧٢) والبيهقي في السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٩٣)

وفيها : أن المنح العظيمة قد تخرج من أرحام المحن الجسيمة؛ فمريم عليها السلام وهي مطوَّقة بتلك الكُرَب العظام يكرمها الله بطعام وشراب على غير العادة، ويكرمها بإنطاق وليدها ساعة ولادتها به، وهذا أمر خارق للعادة، فتسمع طمأنته لها فتنسى بذلك تلك الكربات كحال تلك المرأة المؤمنة التي أُمر بإلقائها في النار مع وليدها لإيمانها، فقال لها وليدها في تلك الساعة الحرجة: « يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ ».(١)

أهمية الأخذ بالأسباب المشروعة لجلب خير أو دفع شرّ مع عدم الاعتقاد في الأسباب ، تأملي قوله تعالى لامرأة في غاية الضعف {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ} وقوله لأيوب عليه السلام عند اشتداد المرض {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ} [ص: ٤٢] وقوله لموسى والبحر أمامه وفرعون خلفه {اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ} [الشعراء: ٦٣].

وفيها : أن التعبد لله بالصمت عن الكلام كان مشروعًا في الأمم قبلنا ، أما في شرعنا فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ، وَلاَ يَسْتَظِلَّ، وَلاَ يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ ».(٢)

وفيها : أن من حِكَم امتناع مريم عن الكلام : أن تُحيل الكلام على وليدها ليكون ذلك أنفَى لتُهمتِها، وأقوى لحُجتها حينما يتكلم وهو ما زال وليداً.

(١) رواه مسلم (٣٠٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٦٧٠٤)

فبعد أن ولدتْ مريمُ بعيسى عليه السلام رجعت إلى قومها ووليدها في حضنها، والناس يعرفون عن أسرتها الصلاح والعفة، ويعرفون عنها الطهارة والعبادة، وهي ليست ذات زوج، فلما رأوا ذلك الوليد معها ، وعرفوا أنه ابنُها أنكروا ذلك عليها ، ووصفوها بالفاحشة بطريق غير مباشر، فقالوا لها: يا مريم، لقد جئتِ بشيء شنيع عجيب عظيم لا يليق بمثلك، فأنت أخت الرجل الصالح هارون، أو شبيهة الرجلِ الصالح هارون في عبادته، ولم يكن أبوكِ وأمُّك من أهل البِغاء فكيف جئت أنت على خلاف ما هم عليه ؟!

فأشارت إلى مولودها ليسألوه ، وهو سيتولى الجواب عنها ، ولما جرت العادة أن الطفل في مهده لا يتكلم أنكروا كلامها ، وتعجبوا قائلين : كيف نكلم طفلاً مازال في مهده رضيعًا.

فما انتهوا من كلمتهم الأخيرة إلا وصعقتهم المفاجأة بكلام عيسى مبرئً أمه مما اتهموها به، مبينًا أنه خلق بقدرة الله عبداً لله، وأنه سيعطى عندما يكبر كتابًا من السماء لهداية قومه، وسيكون نبيًا لهم.

وأخبرهم بأن الله سيجعله عظيم النفع والخير في حياته أينما وجد، وأعلمهم أن الله أوصاه بالمحافظة على الصلاة، وأداء الزكاة عند قدرته على ذلك مدة بقائه حيًا، وأوصاه كذلك ببر والدته التي تحملت هذا العناء وصبرت لأمر الله، وبين لهم أن الله تعالى لم يجعله متكبراً مغروراً غليظًا ولا شقيًا ولا عصيًا.

وختم لهم الجواب بأن الله تعالى قد أكرمه بالسلامة والأمان عند ولادته، وعند موته وعند بعثه. قال تعالى: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم: ٢٧ - ٣٣].

ختمت الآيات الكريمات من قصة العفيفة الصديقة مريم عليها السلام بدروس نافعة

فمنها : أن طبع كثير من الناس تقديم سوء الظن على حسنه، وقلة التثبت في الأمور، والله أمرَنا بالتثبت والتبين قبل إصدار الأحكام : {فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

ومنها: أن عيون الناس وألسنتهم لا ترحم صالحًا زلَّ، أو اتُّهم بتهمةٍ هو منها بريء.

{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} [مريم: ٢٩] هكذا العفيفات قليلات الكلام ، امتنعت مريم من الكلام فأنطق الله رضيعها {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} [مريم: ٣٠] وبين موقف مريم وموقف عائشة في حادثة الإفك شبهٌ كبير ، فعائشة رضي الله عنها عندما اشتد الأمر عليها وبكتْ حتى كاد قلبها أن ينصدع ، قالت لرسول الله ﷺ ولمن معه من أهلها : إِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨] فما لبثت أن نزل الوحي ببراءتها في آيات تتلى إلى أن يشاء الله.(١)

كذلك قصة جريج العابد أنطق الله له الصبي الرضيع ليظهر براءته.(٢)

فيها ردٌّ من الله تعالى على اليهود فيما ادعوه وزعموه حول مريم وعيسى ابنها عليهما سلام الله، حيث إن مريم في ميزان اليهود امرأةٌ خاطئة فاحشة ، وأما عيسى فهو عندهم وفي كتبهم أنه عليه السلام ولدُ خطيئة ؛ عليهم لعائن الله.

ومنها : أن أول كلمة نطق بها عيسى بين بني إسرائيل هي ردٌّ على النصارى الذين اتخذوا عيسى إلهًا عبدوه مع الله تعالى، فقال: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} وليس إلهًا .

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) رواه البخاري (١٢٠٦) ومسلم (٢٥٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اعتقادنا في عيسى بن مريم

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ ».(١)

- وفيها : أهمية الصلاة والزكاة، وبرّ الوالدين
- وفيها : أن الله تعالى أكرم عيسى بالأمان في أخوف ثلاثة مواطن،

قال سفيان بن عيينة: أوحشُ ما يكونُ ابنُ آدم في ثلاثة مواطن: يومَ وُلِدَ فيخرج إلى دارِ هَمٍّ، وليلةَ يَبيتُ مع الموتى فيجاورُ جِيرانا لم يَرَ مثلَهم، ويومَ يُبعث فيَشهدُ مشْهدًا لم يَرَ مثلَه.(٢)

تعلمت من قصة مريم الصديقة

- أن أختار البيئة الطيبة الصالحة لتربية أولادي ، وخاصة (مكان السكن - اختيار الجار - اختيار المدرسة)
- أن أختار المربي الصالح الثقة لتربية أبنائي ، لما له مِن تأثير في سلوك وأخلاق الأبناء، ويدخل في ذلك (معلِّم القرآن - معلِّم المدْرَسة والدروس الخصوصية) .

قال عتبةُ بن أبي سفيان لمؤدِّب وَلَدِه : ليَكُنْ أولَ إصلاحِك لولدي إصلاحُك لنفسِك ؛ فإنَّ عيونَهم معقودةٌ بكَ ؛ فالحسَنُ عندهم ما صنَعْتَ، والقبيحُ عندَهم ما تركتَ.(٣)

- أن أنتمي لأهل الخير والصلاح وأحبهم ولو لم يكونوا مِن أمتنا، فنقتدي بمريم ونحبها وهي مِن بني إسرائيل وإن لم تكن من أمتنا .
- لا أحزن إذا رزقني اللهُ بأنثى، لأنني لا أدري أين الخير ، فربما كانت البنت أفضل من ألف وَلَدٍ ذَكَرٍ.

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨)
(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٢٠)
(٣) النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ٥١٧)

- أن اجعل لي عملا صالحا بيني وبين الله ، لا يَطلعُ عليه أحدٌ من الناس .
- أن أصبر على البلاء ، فعلى قدر الصبر على البلاء يُجزِلُ اللهُ لنا العطاء .
- لا أترك الأخذ بالأسباب ، ولكن أُعلِّقُ قلبي بِمُسببِ الأسبابِ .
- أتعامل مع الرجال الأجانب بحذر ، وأتجنب الاختلاط بهم لأننا جميعا بَشَر .
- بعض المواقف الصعبة في حياتكِ علاجها الصمت والسكوت، فاسكتي واعلمي أن الله يدافع عن الذين آمنوا.
- اثْبُتي وتَمسكي بحجابِك وعفافك، فالمرأة المتمسكةُ بالحقِّ لا تَهُزُّها أَرَاجيفُ المبْطِلين .
- أَحسِني ظنَّكِ بربِّكِ، فلا مستحيل مع قدرة الله، ولكن علينا أن نبذل الأسباب المشروعة .
- اعرفي رَبَّكِ جيدا ، فمَن عَرَف اللهَ وثَقَ به ولم يَقنط مِن رحمته .

قيّمي نفسَكِ واقتدي بمريم

أمُّ مريم دَعتْ لابنتها وذريتها بالحفظ مِن الشيطان .	هل تَدْعين لأولادِكِ ؟ أم تدعين عليهم ؟
مريم لها وردٌ ثابت من العبادة .	هل لكِ وردٌ ثابت من (قراءة قرآن – ذكر اللّه – قيام ليل – صيام نوافل)
مريم تخلو بربها وتُطيل القيامَ بين يديه .	هل لكِ خَلوة بربِّك ؟ وكيفَ حالُكِ في خَلوتِكِ ؟
مريم اتخذتْ حجابا مِن أهلها .	هل تحرصين على حجابك أمام الرجال الأجانب
مريم عندما فزعتْ استعاذتْ باللّه .	فهل تستعيذين باللّه عند الفزع أمْ تصرُخين ؟
مريم فزعت عندما رأتْ رجلاً أجنبيًا دخل عليها في خلوتها .	فهل تفزعين عندما يقع نظُركِ على رَجُلٍ مِن غير محارمك ؟
مريم لما نزلتْ بها النعمةُ نَسَبتها لربّها .	فهل تَنسبين النعمةَ للّه أم لمهارَتِك وذكائِك ؟
مريم استسلمتْ لقضاء اللّه وقدَرِه .	فهل تَستَسْلمين لقضاء اللّه أم تعترضين وتَسْخَطين ؟
مريم وصفها اللّه بالصدق .	فهل تتحرين الصدق في كلامك ؟
مريم بلغت الكمال في العلم والعمل .	فهل تنوين طلب العلم والاجتهاد في الأعمال ؟

صناعة السعادة

صناعة السعادة

السعادة جَنةُ الأحلام ومُنتهى الآمال، كل البشر يَنشدها، والقليلُ مَن يُحصلها، السعادة منحة من الرحمن يَهبها لمن يشاء من عباده، فمنهم من يَنعم في جناها، ومنهم مَن يُحرمها ويعيش في أمانيها، والموفق مَن هدي إليها فسلكها وخطى إليها وعمل لها وجانب ما يضادها مما يجلب له الشقاء.(١)

لماذا الحديث عن السعادة ؟

١ لأن السعادة مطلب جميع البشر، مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ومقاصدهم .

٢ لأن الكثير من الناس يُخطئ طريق السعادة ويطلبها مِن غير مواردها .

٣ حتى لا تنخدع المسلمة بأصحاب السعادة المزيفة فتسلك طريقهم فتَهلِك كما هَلَكوا .

ما معنى السعادة ؟

هي حالةُ ارْتياحٍ تامٍّ ، وشُعورٌ داخليّ عميقٌ بالرِّضَى والقَناعة والسُّرور والطُّمأنِينَة .

كيف أحقق السعادة لنفسي ؟

هناك أسباب تجلب لكِ السعادة من أهمها:

١ سعادتك في إيمانك

الإيمان بالله تعالى هو ينبوع السعادة ومصدر السكينة والطمأنينة فلا سبيل إلى السعادة إلا بطاعة الله والإيمان به ، قال ابن تيمية : الإيمانُ بالله ورسوله ﷺ هو جِماعُ السعادة وأصلُها.(٢)

ومَنْ أكثرَ من الأعمال الصالحة واجتنب الذنوب والخطايا عاش سعيداً وكان من ربه قريباً، قال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: ٩٧]، قال ابن كثير : والحياةُ الطيبة تشمل وجوهَ الراحةِ مِن أيِّ جهةٍ كانت.(٣)

ولَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ ... ولَكِن التَّقِيّ هُوَ السَّعِيدُ

(١) خطوات إلى السعادة / لعبد المحسن القاسم (ص: ٧) (٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٣) (٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١)

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: مَن أراد السعادةَ الأبدية، فليلزمْ عَتَبَةَ العبودية.[1]

- تمسكي بالحجاب الشرعي الكامل ولا تنساقي وراء أدعياء الحضارة ودعاة الموضة.
- كوني قدوة حسنة واعتزي بإسلامك وأظهري هذه العزة في أقوالك وأفعالك.

(٢) إيمانك بقضاء الله وقدره عنوان سعادتك

مِن أهمِّ صفاتِ السُّعداء أنهم يؤمنون بقضاء الله وقدره ، فيعلمون أنَّ ما أخطأَهُم لم يكن ليُصيبَهم وما أصابهم لم يكن ليُخطئَهم، لأن الإنسان في هذه الحياة لابد أن يتَأبه شيءٌ من الهموم والمصائب، فإن لم يؤمن بالقضاء والقدر عاش حزينا كئيبًا ومات ساخطًا لِقَدَرِ الله.

- ويصف لنا النبيُّ ﷺ حال المؤمن الشاكر في السراء والصابر في الضراء ،

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »[2]

قال ابن القيم : عنوانُ سعادةِ العبد، وعلامةُ فلاحه في دنياه وأخراه هذه الأمور الثلاثة : إذا أُنْعِمَ عليه شَكَر، وإذا ابْتُلِيَ صَبَر، وإذا أَذْنَبَ استغْفَر.[3]

(٣) طلبُكِ للعلم الشرعي طريقُكِ للسعادة

فالعلم يشرح الصدر، ويُوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، فكلما اتسع علمُ العبد انشرح صدره واتسع ، فالعلماء العارفون بالله هم السعداء حقا في الدارين ،

قال تعالى : {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]

فأهل العلم أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلوبا، وأحسنهم أخلاقا، وأطيبهم عيشا.

قال ﷺ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ »[4]

فبالعلم يعرف الإنسان طريق السعادة في الدنيا فيسلكه فيكون من أهل السعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٢٩)
(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩)
(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٥)
(٤) رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤ أكثري من ذكر الله وقراءة القرآن

فللذكر تأثيرٌ عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب ، قال تعالى في وصف السعداء بذكره : {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨] فمَن داوم على ذكر الله عاش سعيدا مطمئن القلب ؛ وأما من أعرض عن ذكر الله، فهو من التعساء البؤساء : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤].

- حافظي على الأذكار المقيدة مثل (أذكار الصباح والمساء / أذكار الصلاة / أذكار الأحوال).
- إن استطعتِ أن تخصصي في كل يوم وقتًا ثابتًا لقراءة جزء من القرآن فشيء طيب.
- لا تسمحي لنفسكِ أن تجلسي في مجالس الغيبة والنميمة .
- لا تسمحي لأحد أن يُضيِّع عليك وقتَكِ ، فوقتُكِ هو رأسُ مالك .

٥ أحسني إلى الناس بالقول والفعل

فالمحسن الكريم أشرح الناس صدرًا وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »[١]. وهذا أمرٌ مجرَّب، ومشاهد، فإننا نجد الذي يحسن إلى الناس من أسعد الناس، ومن أكثرهم قبولا في الأرض.

٦ اقنعي بما آتاكِ الله ولا تتطلعي إلى ما في أيدي الناس

القناعة كنزٌ عظيم يعيش صاحبها مَلِكًا ولو كان فقيرًا ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ »[٢]. ومَن أراد العيشَ في جنة القناعة والاستمتاع بالسعادة ، فلينظر إلى مَن هو دونه في الدنيا ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ »[٣]. لأن الإنسان إذا تذكَّر مَن هو دونه ، عَلِمَ فضلَ الله عليه.

- كوني صاحبة همة عالية ، وانظري إلى مَن هو أعلى منكِ في أمور الدين، وإلى مَن هو دونَكِ في الدنيا.

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) (٢) رواه مسلم (١٠٥٤) (٣) رواه مسلم (٢٩٦٣)

٧ استعملي الأدب وحسن الخلق مع الله ومع الناس

فقد جمع لنا النبيُّ ﷺ ثلاثية السعادة في الدنيا والآخرة، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »(١).

قال ابن القيم : أَدَبُ المرءِ: عنوانُ سعادتِهِ وفلاحِهِ. وقِلَّةُ أَدَبِه: عنوانُ شقاوتِه وبَوارِه. فما استُجْلِبَ خيرُ الدنيا والآخرة بمِثْلِ الأدب، ولا استُجْلِبَ حرمانهما بمثل قلةِ الأدب(٢).

- حاسبي نفسك باستمرار وابتعدي عن الزلاَّت والهفوات وأكثري من الحسنات.
- عليكِ بالتحلي بالأخلاق الإسلامية السامية، واضبطي انفعالاتك ولا تغضبي.

٨ احرصي على الصحبة الصالحة

إن الطبع -كما يقولون- يَسرق من خصال المخالطين، وإن الصاحب يتأثر بصاحبه سلباً وإيجاباً، فإذا كنتِ تطمحين إلى السعادة، التفاؤل، الطموح، النجاح، الراحة النفسية، السكينة والطمأنينة، الأمل وعدم اليأس ، فلتكُن صحبتُكِ من هذا الطِّراز الإيجابي المفيد.

٩ التجئي إلى الله عز وجل وأكثري من الدعاء

الدعاء سبب عظيم في سعادة المرء وانشراح صدره وهدوء نفسه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »(٣).

فإذا لَهَج العبدُ بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلبٍ حاضر ونيةٍ صادقة مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقق اللهُ له ما دعاه ورجاه وعمل له وانقلب همه فرحًا وسرورًا.

وكان النبي ﷺ كثيرا ما يستعيذ بالله من الهم والحزن، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ »(٤).

- استعيني بالله على طاعته والتجئي إليه بالدعاء ، وتحري أوقات الإجابة .

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٠٩)
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٨)
(٣) رواه مسلم (٢٧٢٠)
(٤) رواه البخاري (٦٣٦٩)

كيف تصنعين السعادة لزوجك ؟

السعادة الزوجية حُلْم كلِّ فتاةٍ وامرأة..

السعادةُ الزوجية أملٌ يُراودُ خاطرَ كلِّ زوجةٍ

السعادة الزوجية بناءٌ كبير يحتاج إلى بنَّاءٍ ماهرٍ يضعُ كل حجر في موضعه بدقة وإتقان. وأنتِ أيتها المسلمة الطاهرة كالحديقة الغنَّاء التي يفوح عطرها على بيتها وزوجها .

فهذه بعض الأمور المهمة التي تُسعدين بها زوجَكِ ورَفيقَ دَرْبَكِ :

(١) ابتغي الأجر من الله

لكي تشعرين بالسعادة الزوجية عليك أن تعرفي ما ينتظرك مِن أجر وثواب على طاعتك لزوجك وحسن عشرتك له ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خمسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوجَها، دَخلت مِن أيِّ أبواب الجنة شاءت »[١]

واعلمي أن زوجكِ جنتك ونارك ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ ، أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا : « أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ، قَالَ : « فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ ؟ ». قَالَتْ : مَا آلُوهُ[٢] إِلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ ، قَالَ : « انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ »[٣]

(٢) أسعدي زوجَك تسعدي

أعطِ لتأخذي ؛ هذا هو أحدُ قوانين الحياة ، فإذا أعطيتِ لزوجك السعادةَ حَصَلتِ عليها، واعلمي أن المستفيدَ الأول مِن سعادة زوجِك هو أنتِ، لأنك إذا نجحت في إسعاده فإنه لن يدَّخِر وسعاً لإسعادك وردِّ الجميل إليك.

(٣) ابحثي عن الإيجابيات وتغافلي عن السلبيات

عليكِ أيتها الزوجة أن تكتشفَي شخصيةَ زوجك وتعرفي إيجابياتِه وتحمديها له وتحاولي تنميتَها، وعليكِ كذلك أن تتحملي نقاط الضعف وتتناسيها ، ولو أنكِ قابلت الإساءة بالإحسان لأثَّرَ ذلك في زوجك تأثيراً بالغاً ، ولربما كان سبباً في تغيير أسلوبه معكِ، واستبدال تلك الصفات السلبية بأخرى إيجابية محمودة.

(١) رواه ابن حبان (٤١٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٧٤)

(٢) أي لا أقصر ولا أتوانى في طاعته

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤١٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٢٢٠)

٤ سعادتك في قناعتك

لو نظرت المسلمة بعين الإنصاف، لرأتْ جوانبَ كثيرة مشرقة في حياتها، وهذه الجوانب كفيلة بإسعادها لو أنها قنَعَتْ بمعيشتها ورَضِيتْ بما آتاها الله من فضله.

فليس السعيد هو الذي ينال كلَّ ما يرغب ، لأن رغبات الإنسان لا تنتهي، فلا يزال ويتمنى حتى يصير طريحًا في قبره، إنما السعادة الحقيقية في القناعة والرضى،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ارضَ بما قَسمَ اللهُ لكَ تَكن أغنَى الناس »[١].

٥ سعادتك في ابتسامتك

إنَّ التجهم الدائم وعبوس الوجه يجلب للإنسان الهموم والغموم والأحزان، وقد يُصاب الإنسان نتيجةَ ذلك بالشيخوخة المبكرة والأمراض الخطيرة.

أما البسمة، فإنها تَبعث السعادة في النفس، وتزرعُ الأمل في القلب، وتبعث السعادة في قلوب الآخرين.

فأسعدي نفسك بالابتسامة الصادقة، واشْرَحِي بها صدرَكِ وصدور أسرتك وكل من يحيطَ بك ، واعلمي أنك تُأجرين على ذلك أجراً عظيما ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ »[٢].

فما بالك بمن له حقٌّ عليكِ كالزوج

٦ تقبلي زوجك على ما هو عليه

بعض الزوجات تريد تغيير طباع زوجها لتوافق طباعها، فتلجأ في سبيل ذلك إلى أسلوب النقد ظنًّا منها أنه أسلوب مفيدٌ ، وهي بذلك تُتعب نفسها بما لا يفيد، لأن كثرة النقد تُولِّدُ العنادَ والإصرار على الخطأ - إن كان خطأ - فكيف إذا كان الزوج يرى أن أسلوبه في الحياة هو الأصوب ؟

والأحسنُ للمرأة في ذلك أن تَقبل زوجَها على ما هو عليه، وأن تتقبل فكرة مخالفته لها في بعض الطباع والتصرفات ، فإنه لا يمكن أن يتفق اثنان في كل شيء، وإلا لكانا شخصًا واحدًا.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣١٠)، والترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٨٢)

(٢) رواه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦١)

٧ لا توسعي رقعة الخلافات

إن الخلافات الأسرية أمرٌ طبيعي يمكن الاستفادة منه في معرفة المزيد من طبائع كلٍّ من الزوجين للأخر، ومِن غير الطبيعي أن تشعر المرأة أن الكارثة وقعت عند حدوث أي خلاف ولو كان بسيطاً، فتقوم عند ذلك بتوسيع رقعته والنفخ فيه ، فتنشأ بسبب ذلك خلافات جديدة قد تكون أكبر وأعمق من الخلاف الأصلي الذي حدث أولا .

ولو أن الزوجين لجئا إلى الحوار الهادئ والمناقشة البنَّاءة دون صُراخ أو شِجار لانْتَهَى هذا الخلاف في دقائق معدودة ولم يَعُدْ له أثرٌ ، شريطةَ أن يحرص كلُّ واحد منهما على إنهاء هذا الخلاف سريعاً دون تَعنُّتٍ أو إصرار .

٨ اكتمي أسرار زوجك ولا تفشيها

احرصي على كتم أسرار زوجك وستر عيوبه، فإن إفشاءَ السرّ من الصفات الذميمة مِن أي شخص كان، ومِن الزوجة أعظم وأقبح بكثير، فبعض النساء – هداهن الله – لا يحلو لها المجلس إلا بتنقص زوجها وفضح عيوبه أو بعض أسراره ؛ وقديماً حذَّرتْ أمامةُ بنت الحارث ابنتَها في وصيتها لها قبل زواجها فقالت : لا تُفشي لَهُ (أي لزوجك) سِرًّا ، فإنَّك إن أفشيتِ سِرَّه، لم تَأمَني غَدْرَه.[١]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي تَسُرُّكَ إِذَا أَبْصَرْتَ ، وَتُطِيعُكَ إِذَا أَمَرْتَ، وَتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ »[٢].

٩ شاركي زوجك اهتماماته

كلما كثرت نقاط الاتفاق بين الزوجين كلما كانت أسس بناء الحياة الزوجية بينهما متينة ولابد أن تكون السعادة الزوجية هي الثمرة الطبيعية لهذا الزواج.

والمرأة الحكيمة هي التي تبحث في اهتمامات زوجها وهواياته، وتُقرر ممارسة تلك الاهتمامات والهوايات حتى تجتمع مع زوجها على أَرْضيةٍ مشتركة ، فلا يكون هو في وادٍ وهي في وادٍ آخر ؛ وإذا أردتِ أن تكوني مُهِمَّة فعليكِ أن تكوني مُهْتَمة .

---

(١) العقد الفريد ، لابن عبد ربه (٧/ ٩٠)

(٢) رواه الطبراني (٣٨٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٢٤)

احرصي أن تجتمعا سويًا على صلاة قيام الليل بين الحين والآخر فإنها تُضفِي عليكما نورًا وسعادة ومودة وسكينة ، ومن أروع صور هذا التعاون ما ذكره الرسول ﷺ عن تعاون الزوجين على قيام الليل حيث يقول: « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ »(١).

(١٠) لا تحتفظي بالذكريات المؤلمة

- كم كانت جميلة تلك الأيام التي تشعرين فيها بالسعادة مع زوجك، أليس زوجُك السبب في تلك السعادة ؟
- إذن فلماذا تَنْسين هذه الأيام الجميلة نتيجةَ وجودِ بعض الخلافات الطارئة؟
- لماذا لم تحتفظي بذكريات السعادة؟ وتحتفظين بذكريات الآلام فقط ؟
- أما كان من الأولى أن تُلْقِي بهذه الذكريات المؤلمة خلف ظهرك ؟
- أين أنتِ من قول القائل: خيرُكم مَن راعَى وِدَادَ لحظة !!
- لحظة واحدة من الوداد والصفاء لها قيمتها عند الأخيار ، فكيف بالساعات الحلوة والأيام الجميلة والليالي المشرقة ؟

(١١) كوني لَبِقة عند مطالبة زوجك بما تريدين

بعض النساء لا يتحلَّينَ بالرِّقة والمرونة واللباقة عند مطالبة أزواجهن بما يُردْنَه فتجدهن يلجأن إلى أسلوب الأمر ، ويُكررن المطالبة أكثر من مرة، فينتج عن ذلك شعور الزوج برغبةٍ قوية في العناد والعزوف عن تلبية تلك المطالب.

ولو أنها جربت الأسلوب اللطيف والكلام اللين لاستطاعت الحصول على ما تريد، كأن تقول مثلاً : لقد رأيتُ فستاناً جميلاً فتمنيتُ أن يكون لي، حتى أَرْتَديه لَكَ في أوقاتنا السعيدة.

(١٢) حافظي على هدوء بيتك

إن هدوء البيت سِمَةٌ مهمة من سمات السعادة، ولذلك فإن كثيراً من الأزواج والزوجات على حدٍّ سواء يشتكون من فقدان جانب كبير من سعادتهم الزوجية بسبب الصخب والضوضاء وصياح الأبناء المستمر طوال اليوم.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٥٠) وأبو داود (١٣٠٨) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٥٧)

وحتى يستعيد الزوجان هذا الجزء المفقود من سعادتهم الزوجية ينبغي عليهما تعويد أبنائهما على الهدوء واحترام البيت وعدم اتخاذه مكاناً لِلَّعبِ العنيف والصِّياحِ والصراخ.

١٣ حافظي على جمالك وأناقتك

إن محافظتك على جمالك وأناقتك له تأثير كبير على حالتك النفسية، فالمرأة المهملة لهذا الجانب عُرضة لأن يَنْفَر منها زوجُها، فلا يُطيق الجلوس معها، ولا يَصبر على سماع حديثها، وهذا- بلا شك- يؤثر سلباً على نفسيتها .

وليس هناك من حلٍّ إلا أن تُعيد المرأة النظر في شأن جمالها وتزينها لزوجها.

أنتِ ريحانةُ بيتِكِ فأشعري زوجك بعطر هذه الريحانة منذ لحظة دخوله البيت.

استخدمي الكلمات العذبة الرقيقة، والابتسامة المشرقة المضيئة، والبشاشة الممتعة.

١٤ أَشْعري زوجك بمكانته

المرأة الصالحة هي التي تظهر لزوجها مكانته، وتُكِنُّ له كامل الاحترام، إرضاء لربها وطلبا لثوابه، ولنا الأسوة في نساء السلف، قالت امرأةُ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ : ما كُنَّا نُكلِّمُ أزواجنا إلَّا كما تُكلِّموا أُمراءَكُم : أَصْلَحكَ اللهُ، عافاكَ اللهُ.(١)

١٥ تخيري الأوقات المناسبة لعرض مشكلات الأسرة ومناقشة حلِّها

تأكدي أنه من الصعب حلُّ المشكلات قبل خروج زوجك للعمل في الصباح بسبب قلة الوقت ، ولا تُناقشي أيَّ مشكلة عند عودته من عمله في المساء مرهقا مُتعبًا.

لا تناقشي مشاكل الأبناء في حضورهم، حتى لا يشعروا أنهم أعباء ثقيلة عليكِ وعلى زوجك ، وأنهم سبب الخلاف بينكما.

والأصوب في ذلك أن تتعاملي مع زوجك بذكاء، ومن واقع خبرتك به وعليكِ الآتي:

أ لا تعرضي على زوجك كلَّ مشكلة تَمرِّين بها، ولكن اكتفي بما يَصُعب عليكِ حلُّه.

ب اختاري (الوقت المناسب، والمكان المناسب، والجو المناسب، والطريقة المناسبة).

ج عند عرض المشكلة، اقترحي عليه حلولا حتى تُشْعريه أنكِ تُسَهِّلين عليه التعامل معها.

د أشعريه بأهمية دوره الأسري كرجلِ البيت ، وأنه صاحب القرار الأخير.

هـ لا تشعريه بأنك تدخرين وتفتعلين المشكلات لِتُنغِّصي عليه حياتَه.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٩٨)

١٦ أَحْسِني إلى أهل زوجك

أحسني معاشرة أهل زوجك وأقاربه وتواضعي لهم وخاصة أُمَّه التي هي أقرب الناس إليه فتَلَطَّفي معها وأظهري لها الاحترام والتقدير وتجاوزي عن أخطائها، وتذكَّري قول النبي ﷺ: « تَهَادُوا تَحَابُّوا »[١]

فالهدية من أعظم الأمور التي تؤلف بين القلوب

ومَن أحسن إلى الناس صار الأحسنَ عندهم

أَحْسِن إِلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

١٧ إياك ونكران الجميل واحذري كفران العشير

فكوني قنوعة واشكري زوجك على ما يجلبه لَكِ من طعام وشراب وثياب واجتنبي الجحود والإنكار، فإن هذا من موجبات دخول النار، فقد بين رسول الله ﷺ عاقبة هذا السلوك غير السوي من الزوجة عندما ذكر أن أكثر أهل النار من النساء، فلما سُئل عن سرِّ ذلك قال: « يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ »[٢]

أي يُنكِرْنَ إحسان الأزواج إليهن ويُكثرْنَ الشكوى

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ »[٣]

١٨ إياك أن تبيتي ليلة وأنتِ مغاضبة لزوجك بدون وجه حق

فالمرأة المسلمة التقية التي هي من أهل الجنة لا تستطيع أن تنام وزوجها عليها غضبان حتى ولو كان الحق لها، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ الْوَلُودَ الْوَدُودُ الَّتِي إِذَا ظَلَمَتْ هِيَ أَوْ ظُلِمَتْ قَالَتْ لزوجها: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ، لَا أَذُوقُ غَمْضًا[٤] حَتَّى تَرْضَى »[٥]

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٧٧)

(٢) رواه البخاري (٢٩) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) رواه النسائي (٩٠٨٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٤١٨)

(٤) أَيْ: لا أذوق نوما.

(٥) رواه الطبراني (٣٠٧) والنسائي (٩٠٩٤) من حديث ابن عباس، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٠٨)

(١٩) احذري كثرة مخالفته في الرأي

فالجدال سبب اختلاف القلوب، وكثرته تؤدي إلى النُّفرة، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك فقال : « لَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ».[١]

وإنما عليكِ بالمناقشة الهادئة إذا كان الأمر يستدعي ذلك وإلا فأشعريه بأنه هو صاحب القرار والقوامة في البيت حتى تسير المركب بأمان.

(٢٠) لا تمنعي زوجك حقَّه منكِ إلا لعذر مقبول

إذا أراد زوجكِ منك حاجتَه الزوجية، فلا تتعللي بالأعذار الواهية، فقد جاء الوعيد الشديد في ممانعة المرأة لزوجها إذا طلبها لفراشه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ ».[٢]

وعند مسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا ».

- قال النووي : هذا دليل على تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي، وليس الحيض بعذر في الامتناع ، لأن له حقا في الاستمتاع بها فوق الإزار.
- ومعنى الحديث : أن اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش.[٣]

(٢١) إياك وكثرة العتاب والغيرة الزائدة

حذارِ حذارِ من الإفراط في الغَيْرة و العتاب ، وتجنبي التصرفات التي تؤجج غَيْرة زوجك.

أوصَى عبدُ الله بنُ جعفر بن أبي طالب ابنته فقال : يا بُنَيَّة ؛ إياك والغَيْرة فَإِنَّهَا مِفْتَاح الطَّلَاق، وَإِيَّاك والمعاتبة فَإِنَّهَا تورث الضغينة.[٤]

- تجنبي كثرة الأسئلة المريبة، ولا تكوني من اللواتي يُفتِّشْنَ الجيوب ويَتنصَّتن على المكالمات ويتصيّدن الهفوات، كل ذلك مذموم وعواقبه وخيمة، وبالأخص إن كانت غيرةً جُنونية من أُمِّه وأخواته ومن أمور كثيرة لا يحقُّ لكِ الغيرة فيها.

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦)
(٣) شرح النووي على مسلم (١٠/ ٨)
(٤) البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٦٢)

٢٢ احذري أن تسألي زوجك الطلاق بلا سبب يستحق ذلك

الزوجة الصالحة لا تسأل زوجها الطلاق من غير سبب يلجئها إليه -وإن استُفزّت- لأن النبي ﷺ حذَّر من ذلك فقال ﷺ: « أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ »[١].

فحاولي أن تمحي كلمة (طلقني) من قاموس حياتك، فالطلاق لن يريحك ولاسيما بعد أن تنجبي الأطفال، والزوج كثيراً ما يكون متعقلا ولا يستجيب لمهاترة الزوجة، لكن الحصيلة لتلك المهاترات هو قلق الأبناء وزرع الخوف الدائم في حياتهم بالطلاق.

(١) رواه أبو داود (٢٢٢٦) والترمذي (١١٨٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٧٨)

اعرضي نفسك وتصرفاتك مع زوجك على بنود الجدول التالي ثم توصلي بنفسك للنتيجة

قيّمي نفسك	دائمًا (٣)	غالبًا (٢)	أحيانًا (١)	لا أفعل (٠)
أودعه كل يوم بابتسامة وأحسن استقباله				
أتذكر نعمة الزوج ونعمة البيت وأشكر الله عليهما				
أطمئن على أحوال زوجي خلال اليوم				
أستمع إلى مشكلاته وأشاركه في حلها				
أمتصّ غضبه إن كان منفعلاً ولا أستفزه				
أُكثر من الثناء على الأشياء التي يشتريها				
لا أثقل عليه بكثرة الطلبات				
أساعده في أموره وأخفف عنه آلامه				
أحاول إرضاء أهله، خاصة أُمّه، وأمدحه أمامهم				
أكثر من الكلمات الجميلة : (يا حبيبي - يا عمري..)				
لا أقاطعه حين يتحدث وأحسن الاستماع له				
أتجنب الشكوى المستمرة، وأحاول حل المشكلات بحكمة				
أحافظ على الأذكار في بيتي وأُذكِّرُ بها أولادي				
أتغافل عن صغائر الأمور وأتسامح لو أخطأ في حقي				

قيّمي نفسك	دائمًا (٣)	غالبًا (٢)	أحيانًا (١)	لا أفعل (٠)
أحرص على تَزيُّني لزوجي طاعة لله وأحرص على التجديد				
أُنهي أيةَ خلاف قبل أن أنام، فقد يكون آخر عهدي به				
أَمنح زوجي الثناء المخلص من وقت لآخر				
أُعينه على التميز والنجاح؛ فنجاحه نجاح لي أيضًا				
أشاركه مشاعره وأخفف عنه آلامه وأحزانه				
أتوجه دائمًا بالدعاء إلى الله ليصلح زوجي وأبنائي				
المجموع الكلي (٦٠)				

أَعطِ لنفسك درجة لتعرفي أين أنت :

- أقل من ١٠ درجات ، احذري فإنك على خطر عظيم في دينك ودنياك.
- من ١٠ إلى ٢٠ راجعي نفسك قبل فوات الأوان.
- من ٢٠ إلى ٤٠ احذري هذه العقبات حتى لا تُعكر صفوَ حياتك.
- من ٤٠ إلى ٦٠ هنيئاً لك يا خير راعية نعمة السعادة في الدنيا قبل الآخرة.

كيف أحقق السعادة لأبنائي؟

الأبناء هم فلذات الأكباد ، و بدونهم تَصعبُ الحياةُ ، فهُمْ لنا زينة الدنيا ، وهم زرعنا وغرسُنا الذي نُولِيه كامل الرعاية، ولكن لن نجني الثمرة الطيبة من هذا الزرع إلا إذا قمنا على رعايته وعنايته بما يحقق لهم السعادة ، وهذه بعض النقاط التي تسعدين بها أبناءك :

- كوني قدوةً حسنة لأبنائك في كل تصرفاتك، فالتربية بالقدوة، هو أسهل الطرق إلى سعادة الأولاد : (كلٌّ إناءٍ بما فيه يَنْضَح).
- نوِّعِي في أساليب التربية مع أبنائك بحيث يُمكنك غرسَ ما تشائين من الفضائل.
- فتارةً بسَرْدِ قصصِ الأنبياء والصحابة والسلف الصالح، فهؤلاء أهلٌ لأن يُقتدي بهم في الشجاعة والبطولة والأخلاق الحميدة، وتارة باللعب معهم - وأخرى بذكر الألغاز والاجتماع لقراءة ما يُفيد ومناقشتهم فيه.
- احرصي على تحفيظ أبنائك القرآن الكريم فهذا من أنجح أساليب التربية ، وتذكري حديث النبي ﷺ : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ »(١)
- رَغِّبي أبناءَك في العلم والاستزادة منه وأَشْرِفي على ذلك بنفسك وعلميهم تقدير العلم والعلماء.
- استخدِمي أحدثَ أساليب التَّقْنية - إنْ أمكن - في تعليمهم والرُّقي بأفكارهم.
- رَاقِبي سلوك أبنائك وتصرفاتِهم وزِيِّهم ومظهرهم، وعَوِّدِي البنات على الحِشْمة منذ الصغر وامنَعِي الكبيرات منهن من التبرج.
- احرِصِي على معرفة أصدقائهم وسلوكياتهم ، لأنَّ القرينَ بالمقارَنِ يَقتدي.
- عوِّدِي الأبناء على الصفات الحميدة منذ الصغر مثل :

◄ الصدقة من مصروفهم الخاص. ◄ وزيارة المرضى. ◄ الذهاب للمسجد.
◄ عدم ذكر الآخرين بسوء. ◄ والصدق والشجاعة والأمانة.
◄ والتعامل بالحسنى مع الآخرين. ◄ وشكر مَن يُسدي إليهم معروفا.

(١) رواه الحاكم في المستدرك(١/ ٧٥٦) وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٩) من حديث بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ.

- عوِّدي أبنائَك تَحمُّل المسؤولية ، بأن تُسنِدي إليهم أعمالاً مناسبةً لقدُراتِهم وأعمارهم مع الملاحظة والإشراف والتوجيه.
- أَبْدِعي في شَغَل وقت فراغهم خاصةً في الإجازات، وابتكري في تنمية مهاراتهم وتوظيف طاقاتهم في الأشياء المفيدة.
- كُوني صديقةً لبناتك قريبةً منهن ، وأَدْرِكي التغيرات النَّفْسِية التي تمرُّ بها الفتاةُ في كلِّ مرحلة، وتعاملي معها بما يُناسبها.
- ساعِدِي أولادَكِ على إثبات ذَواتِهم بوسائلَ عملية تربوية.
- سَارِعِي إلى الرُّقْيَةَ الشَّرعية عند مَرَضِ أَحدِ أبنائك وعوِّدِيهم على المحافظةِ على ذكر الله وحفظيهم الأذكار ليُحصنوا أنفسهم من شياطين الجن والإنس.
- اهتمي بنظافة أبنائك وعوِّدِيهم على النظام والنظافة في كلِّ شؤون حياتهم، وحَبِّبي إليهم استخدامَ السِّواك واذكُرِي لهم فوائده العظيمة.
- اهتمي بتغذية أبنائك التغذية السليمة الصحية، وتَجنبي كلَّ ما هو ضار، فالعقل السليم في الجسم السليم.

كيف أحقق السعادة لأهلي وجيراني ؟

الأهْلُ هُمُ الرَّكيزة الأساسية لَكِ ، وهم الذين قاموا برعايتكِ حتى أصبحتِ فيما أنت فيه ، فلا تَنسَلِخي منهم ولا تتنكري لجميلهم بل عليكِ الآتي :

- بِرِّي والدَيْكِ وتَلمَّسي حاجاتهم وتحمَّلي ما يَصدر منهم خاصةً عند كبرهم فهم أهل الفضل، وحاولي أن تُعينيهم على طاعة الله عز وجل وتُبصيرهم بأمور دينهم.
- تَودَّدِي إليهم بالكلمة الطيبة والهدية القَيِّمة إن أمكن ، واخدِميهم عند زيارتك ولا تكوني ضيفةً في بيت أهلك.
- بادِري إليهم عند حاجَتِهم إليكِ أو عند مَرضهم ، وكُوني نِعْمَ المُعينة ونِعْمَ المطيعة لهم.
- تَفقَّدِي أحوالَ أخواتك وإخوانك، شاركيهم همومَهم وتقرَّبي إليهم واعرفي مشاكلهم ، وساهمي في حلِّها وشُدِّي مِن أَزْرِهم في الخير، اسألي عن أحوالهم وقدِّمي يَدَ المساعدة المادية والمعنوية ، وكوني معهم في السراء والضراء.
- انصحيهم ووجهيهم وبصِّريهم بأمور دينهم قال تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]
- عليكِ بِصِلَةِ الرَّحِم والجيران وتَحديد زيارَتِهم في أوقاتٍ مناسبةٍ، فالناس مشغلون كما أنَّكِ مشغولة ، ويُفضَّل الاتصال قبل ذلك للاستئذان ، ولتكن هذه الزيارة صلةً ودَعوةً وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.
- لا تُفاجئي الناس بزيارتك بحُجة أنك محبوبة لعدم الإحراج ولا تجعلي أطفالك يَصُولون ويَجُولون في البيوت بحُجة أنهم أقارب.
- تَلمَّسي حاجات الأهل والأقارب والجيران ومُدِّي يد العون لهم.

وأخيرا لا تنسِ نفسَكِ

أيتها المسلمة لا تَنْسي نفسَكِ في خضم أمواج الحياة والواجبات، بل اقبضي على مجداف الزمن بقوة وخططي لحياتك ولا تتركي هذه الأمواج تعصفُ بِكِ يَمنَةً ويَسْرَة.

- خطِّطي لأعمالك فالمسؤولية كبيرة والمهامّ كثيرة ولكن ابدئي بالأهم فالمهم.
- نَظِّمي وقتك ولا تسمحي للُّصوص الوقت بسرقةِ ولو لحظة واحدة من حياتك سواء عن طريق الهاتف أو الزيارات الفارغة، واحذري من صحبة أهل الفراغ لأنها بلاء.

- اعلمي أن الصاحبة الطيبة خيرٌ من الوحدة، والوحدةُ خيرٌ من جليس السوء.
- ارتَقِي بفكرِكِ ونَوِّري عقلَكِ واجعليها تُحلِّق فوق السحاب، واستخدمي الأساليب المتنوعة في ذلك مرة بالاطلاع والقراءة في سير الأنبياء والسلف الصالح والصحابيات وكتب التفسير والفقه والحديث والكتب الثقافية المفيدة ، ومرةً بالاستماع إلى كل هو مفيد.
- لا تُطفئي نُورَ عقلِك وتلطِّخيه بوَحْلِ الكتب والمجلات والصفحات والقنوات الفاسدة والمحرَّمة.
- لا تكوني خرَّاجةً ولَّاجة بحيث تخرجين بدون حاجة ورَكِّزي اهتمامك على بيتك.
- لا تكوني وَكَالةَ أنباء العائلة ، بأن تستخدمي الهاتف في الإعلام بالأمور التافهة ونقل المواضيع غير المهمة، مثل التحدث عن أمورك الخاصة، أو نقل أمور الأزياء أو غير ذلك من المواضيع التي لا جدوى منها.
- احذري من القنوات الفضائية فقد أثبتت الدراسات النَّفْسِيَّة أن مشاهدة هذه القنوات تُسببُ حالات من الاكتئاب والإحباط لدَى الرِّجال والنساء المشاهدين لها لأنهم يُصابون بتشتت ذهني وعاطفي لعدم قدرتهم على الموازنة بين الواقع وما يوجد بهذه القنوات.
- لا تجعلي الزمن والظروف شمَّاعة لأخطائك ولكن سدِّدِي وقاربي وسَخِّرِي الظروف لصالحك واستعيني بالله.
- جدِّدي حياتَكِ، غيِّرِي مِن وضع أثاث المنزل، أَضِيفي بعضَ القِطع الجميلة التي تُضفي جمالا وبهاءً على المنزل.
- اجعلي الاعتدال والاقتصاد دَيْدَنك في تدبير شؤون المنزل والمصروفات.
- اهتمي بنظافتك الشخصية وجمالك باستعمال أدوات التجميل الطبيعية التي تحافظ على بشرتكِ وبهائها.
- اهتمي بشعْرِكَ ورَونَقِه ولَمعانِه.
- اهتمي بصحتك وقوَّتِك وحافظي عليها ، فالمؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.
- كوني زهرةً يفوح عبيرُها في أرجاءِ المنزل وشمسًا مشرقةً تُضيء لكلِّ مَن حولها.